القوة الإنجازية للجملة الاسمية في الخطاب اللغوي
دراسة تداولية بلاغية

المدرس الدكتور مناف حيدر آلوس

قسم اللغة العربية، كلية التربية الأساسية، جامعة الكوفة، النجف، العراق

الأستاذ الدكتور حيدر جبار عيدان أبو صيبع

قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الكوفة، النجف، العراق

The Illocutionary Force of the Nominal Sentence in Linguistic Discourse: A Pragmatic-Rhetorical Study

Lecturer. Dr. Munaf Hayder Allws

Department of Arabic Language, College of Basic Education, University of Kufa, Najaf, Iraq.

Orcid No: 0000-0002-8087-4626

https://orcid.org/0000-0002-8087-4626

Email: munafh.almafrachi@uokufa.edu.iq

Prof. Dr. Hayder Jabbar Eidan

Department of Arabic Language, Faculty of Arts, University of Kufa, Najaf, Iraq.

Oricd No: 0000-0001-6041-2427

https://orcid.org/0000-0001-6041-2427

Email: hayder.albosebi@uokufa.edu.iq

ملخص:

الأهداف: يهدف هذا البحث إلى دراسة سلطة النص في التأثير على الفرد والجماعة، التي تعدُّ من أهم الأبحاث اللغوية الحديثة التي يستمدّ عمقها من التراث اللغوي، وتسليط الضوء على القوة الإنجازية للجملة الاسمية، وكيف يمكن لها أن تحقق أثرا تواصليا تداوليا يتجاوز الإخبار؟ وذلك عبر توظيف النظريات اللغوية والبلاغية في تحليل المعنى التداولي ومقاصد الكلام؛ لإثبات إنجازية الجملة الاسمية.

المنهجية: اعتمد البحث على المنهج التحليلي الذي يجمع بين النظرية التواصلية في البلاغة والنظرية اللغوية الحديثة، حيث حُللت فيه الدلالة القضوية والدلالة الإنجازية، وكُشف بين معنى اللفظ الخبري والإنشائي. وتناول البحث مفهوم القوة الإنجازية بوصفها جزءًا من الدلالة التداولية، وكيف يتجلى الأثر الإنجازي للجملة الاسمية في مواقف متعددة؟ مع النظر في تأثير القصد والسياق على المعنى.

النتائج: توصل البحث إلى أنَّ الجملة الاسمية، رغم طبيعتها الإخبارية، تمتلك قدرة إنجازية تُسهم في تحقيق الأثر اللغوي المطلوب. وقد أكد البحث أنَّ القوة الإنجازية تمتد للجمل الاسمية الخبرية والإنشائية على حد سواء، مما يوسع فهم العلاقة بين اللغة والسياق.

الخلاصة: أثبت البحث إمكانية توظيف الجمل الاسمية لتحقيق أثر إنجازي ملموس، ويفتح آفاقاً لدراسات مستقبلية تدرس التداخل بين البلاغة والتداولية وفلسفة اللغة، مما يسهم في تعميق الفهم لمفهوم الإنجازية في اللغة العربية.

الكلمات المفتاحية: القوة الإنجازية؛ الجملة الاسمية؛ التداولية؛ البلاغة العربية؛ نظرية أفعال الكلام.

Abstract:

Objectives: This research aims to investigate the authority of text in influencing both individuals and groups—a pivotal area in modern linguistic studies that draws its depth from linguistic heritage. It sheds light on the illocutionary force of the nominal sentence and explores how it achieves a pragmatic communicative effect that transcends mere information-sharing. This is achieved by employing linguistic and rhetorical theories to analyze pragmatic meaning and communicative intents, thereby proving the performative nature of the nominal sentence.

Methodology: The study adopts an analytical approach that synthesizes the communicative theory in rhetoric with modern linguistic theory. It analyzes both propositional meaning and illocutionary meaning, distinguishing between the meanings of constative (informative) and performative expressions. Furthermore, the research addresses the concept of illocutionary force as a component of pragmatic meaning, examining how the illocutionary effect of the nominal sentence manifests across various contexts, while considering the impact of intention and context on meaning.

Results: The study concludes that the nominal sentence, despite its inherently informative nature, possesses an illocutionary capacity that contributes to achieving the intended linguistic effect. The research confirms that illocutionary force extends to both constative and performative nominal sentences alike, thereby broadening the understanding of the relationship between language and context.

Conclusion: The research demonstrates the viability of utilizing nominal sentences to achieve a tangible performative effect. It opens new avenues for future research exploring the intersections among rhetoric, pragmatics, and the philosophy of language, ultimately deepening the comprehension of performativity in the Arabic language.

Keywords: Illocutionary Force; Nominal Sentence; Pragmatics; Arabic Rhetoric; Speech Act Theory.

مقدمة

تمثِّل اللغة أداة التواصل الأساسية في المجتمعات البشرية، إذ تتجاوز وظيفتها نقل المعلومات لتصبح أداةً لتحقيق الفعل والتأثير في العالم. ومن هنا تظهر أهمية دراسة "القوة الإنجازية" في الخطاب اللغوي بوصفها مفهوما محوريا في فهم كيفية تحوّل الكلمات إلى أفعال تغير الواقع وتؤثر في العلاقات الإنسانية.

تمثِّل نظرية أفعال الكلام (Speech Act Theory) واحدة من أهم المنعطفات في الدراسات اللسانية الحديثة، إذ سلطت الضوء على القوة الإنجازية التي يمتلكها الملفوظ اللغوي في التأثير على الواقع والتواصل الفعّال بين الأفراد. وتحقق فضلا عما تقدم وظائف إنجازية مثل الأمر، التوجيه، الإقناع، الإعلان، والإلزام. وعلى الرغم من أنَّ الجمل الفعلية تُعد النموذج الأكثر شيوعًا لتحقيق هذه الوظائف، إلا أنَّ الجمل الاسمية قد نجد لها أثرا مماثلاً في بعض السياقات التداولية والخطابية. ونظرا لارتباط القوة الإنجازية في الدراسات اللغوية بالجمل الفعلية، جاء البحث يتضمن السؤالين الآتيين:

- هل تحقق الجملة الاسمية قوة إنجازية مماثلة لما تحققه الجملة الفعلية؟
- كيف تسهم البلاغة والتداولية في تعزيز القوة الإنجازية للجمل الاسمية في الخطاب اللغوي؟.

يسعى هذا البحث إلى رفد الدراسات اللسانية والبلاغية عبر إثبات قدرة امتلاك الجملة الاسمية قوة إنجازية رغم افتقارها إلى عنصر الفعلية، وتظهر أهمية هذا الموضوع في كونه يفتح آفاقًا جديدة لفهم العلاقة بين البنية النحوية، التداولية، والوظيفة البلاغية في الخطاب اللغوي، مع التركيز على أثر السياق والقرائن اللغوية في إضفاء الطابع الإنجازي على الجملة الاسمية. واعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي الذي يرصد وصف الجملة الاسمية ذات الصلة بالقوة الإنجازية وتحليلها في ضوء المفاهيم التداولية والبلاغية، مع الاستعانة بمدونة من النصوص المتنوعة (أدبية، إعلامية، قانونية، دينية) لاستخراج الشواهد، ولعل أهم ما يميز هذا البحث هو سعيه إلى التكامل بين التراث البلاغي العربي الأصيل والدراسات

التداولية الحديثة، إذ إنَّ المباحث البلاغية التي درسها علماء البلاغة العرب القدامى نحو الأساليب الإنشائية من أمرٍ ونهي واستفهامٍ وتمنٍّ ونداء، ومباحث الخبر والمجاز والكناية وغيرها، تنطوي على تصورات عميقة للقوة الإنجازية وآلياتها، وإن لم تسمَّ بهذا المصطلح الحديث، وإن الأدبيات التداولية القائمة قد اختبرت القوة الإنجازية، في المقام الأول، في سياق الجمل الفعلية، تاركةً الجمل الاسمية من دون استكشاف تطبيقي كافٍ من منظور خطابي تداولي، وتتصدى الدراسة لهذه الإشكالية عبر تصنيفها ووصفها المقرون بالتحليل والتفسير، وذلك بمقاربة بلاغية تدرس أثر الأساليب البلاغية في تقوية الإنجاز اللغوي للجملة الاسمية في الخبر والانشاء.

ولم تخل المكتبة العربية من دراسات جادة ورصينة في مجال البحث التداولي عن القوة الإنجازية في الخطاب اللغوي، لعل أهمها ما يأتي:

- الغامدي & عزة علي. (2022). وسائل تعزيز القوة الإنجازية في الحوار القرآني: مقاربة تداولية. مجلة كلية دار العلوم, 833–791 ,(139)39.
- بومخيلة , نورة , بن خراف , & إبتسام. (2025). القوة الإنجازية للتعجب القياسي في الخطاب القرآني–دراسة تداولية. مجلة الآداب والعلوم الإنسانية, 18(2), 205–222.
- حسانيـــــــــــن& , أحمد محمد عبد الرحمن. (2021). تعزيز القوة الإنجازية. مجلة كلية الآداب جامعة الفيوم13 ,(العدد 2 (الإنسانيات)), 2693–2765.
- الريامي (2025). القوة الإنجازية للأفعال التعبيرية في جزء الذاريات انموذجًا. (2024). مجلة الباحث الجامعي للعلوم الانسانية, 23(53), 118 – 140.
- الريامي, & أحمد محمد علي أحمد. (2023). القوة الإنجازية للأفعال الطلبية في سور المفصل (الأمر والنهي والاستفهام) أنموذجا. موازين, 5(1), 23–44.
- العتيبي, & تهاني سهل. (2018). تعديل القوة الإنجازية. مجلة اللغة العربية وآدابها, 6(1), 191–220.

وغيرها من الدراسات، ولكن هذه الدراسات قد اقتصرت على البنية الفعلية، بناء على أن الفعل هو بؤرة الحدث التخاطبي، ولم تتناول القوة الإنجازية في البنية الاسمية التي

يكشف بحثها تداولياً وبلاغيا عن طاقات إنجازية كامنة ومستلزمة مقامياً، لم تنل حظها من الدراسة والتحليل، وهو ما يحاول البحث الوقوف عليه.

وختاماً، يأمل هذا البحث أن يقدم إضافة نوعية إلى المكتبة العربية في مجال الدراسات التداولية البلاغية، وأن يفتح آفاقاً جديدة لفهمٍ أعمقَ لظاهرة القوة الإنجازية في الخطاب اللغوي.

القوة الإنجازية في نظرية أفعال الكلام

أولاً: نظرية أفعال الكلام وتطوراتها المفاهيمية

يعود أصل نظرية أفعال الكلام إلى محاضرات ويليام جيمس، وهي النظريات اللغوية الفلسفية التي ابتكرها وألقاها (أوستن) في جامعة هارفارد عام 1955، وجمعت في سلسلة من المحاضرات ترجمت للعربية بعنوان "كيفية ننجز الأشياء بالكلمات" (أوستين، 1991) أو "الفعل بالكلمات" (أوستن، 2019)، التي نُشرت بعد وفاته عام 1962، فقد كان (أوستن) واحدًا من أكثر الفلاسفة تأثيرًا في عصره، إذ قدَّم استكشافًا شاملاً لأفعال الكلام الأدائية التي كانت مجالا دراسيا مبتكرا في تلك الأيام.

وفي هذه المحاضرات، بدأ (أوستن) بتمييز واضح بين العبارات الخبرية والعبارات الإجرائية، إذ قدَّم العبارات الخبرية في الأساس على أنَّها عبارات تصف العالم، أو تؤكد حقيقة ما. وهي تخضع للتحقق المشروط من الحقيقة. من ناحية أخرى، لا يمكن للعبارات الأدائية أن تخضع لهذه الشروط، لأنَّها لا تُقاس عادةً بمعيار الصدق والكذب كما في العبارات الخبرية، لكنها تخضع لشروط أخرى تُعرف في التداولية ب«شروط الملاءمة» أو «شروط النجاح عند J. L. Austin، التي توسّعت فيما بعد عند John Searle. ورأى (أوستن) أنَّ هناك مقولات لا تصف واقعا خارجيا فعليه لا توصف بالصدق والكذب، بل هي تؤدي فعلا بالخارج وتوصف بكونها موفقة أو لا -بحسب شروط الملائمة والموفقية التي وضعها (أوستن) - وهي الإنجازيات أو الإنشائيات بالتعبير العربي، وبالمقابل رأى أيضا أنَّ المقولات الخبرية قد لا

توصف بالصدق والكذب، وهي عرضة لحالات عدم الموفقية نفسها التي تصيب الإنجازيات أو الإنشائيات. وهناك جمل خبرية تشبه العبارات الوصفية إلا أنَّها لا تصف شيئا في الخارج ولا تحتمل الصدق والكذب، فقولك إذا بشرت بمولود: "أسميه يحيى"، وإذا رأيت أن توصي ببعض مالك لجهة من جهات الخير فقلت: "أوصي بنصف مالي للجمعيات الخيرية"، أو إذا قلت لزوجتك: "أنت طالق"، فإنك هنا لا تخبر عن شيء أو تصف شيئا في الواقع الخارجي، بل تنجز فعلاً (نحلة، 2011، ص ص 62-64).

وقد تركز التحليل الأوستيني بشكل أساسي على الفعل الإنجازي (illocutionary act)، وهو المفهوم الذي غدا في نهاية المطاف مرادفا فعليا لمفهوم فعل الكلام. وقد أكد (أوستن) ضرورة التمييز الجوهري بين الفعل القولي (locutionary act) الذي يندرج ضمن مجالي الدلالة والنحو، والفعل الإنجازي الذي ينضوي تحت حقل التداولية. وركَّز على الفعل الكلامي أو الإنجازي بحيث أصبح الأخير مرادفا لفعل الكلام برمته، ثم أكد إمكانية الفصل بين فعل القول والفعل الكلامي؛ فالأول مجاله علم الدلالة والثاني مجاله الفعليات أو التداولية (نحلة، 2011، ص 62).

واقترح (أوستن) تصنيفاً أولياً للأفعال الإنجازية، مقسما إياها إلى خمس فئات: **الحكميات** وهي الممثلة في إصدار الحكم من قبل المحلفين أو المحكمين. مثل: (يخلي سبيل، يقدر، يشخّص ...)، **والتنفيذيات** التي تشمل ممارسة السلطة أو الصلاحيات والتأثيرات. مثل: (يعين، يأمر، يحذر، ينصح..)، **والالتزاميات** التي تلزم المتكلم بالقيام بشيء ما. مثل: (بعد، يضمن، يراهن، يخالف...)، **والسلوكيات** وهي مجموعة منوعة تدور حول التوجهات والسلوك الاجتماعي. مثل: (يعتذر، ينتقد، يبارك، يتحدى...)، **والإيضاحيات** التي توضح مناسبة المقولات للخطاب الجاري. مثل: (يقول ب، يفترض، يؤكد، يسلم ب). وهكذا خرج بنظرية عامة لأفعال الكلام تمثل فيها أنَّ كلَّ المقولات في اللغة تنجز أفعالا خلال مغزاها المحدَّد إضافة إلى ما تدل عليه من معنى. (الخليفة، 2007، ص ص 120–121)

إنَّ ما قدمه (أوستن) كان الحجر الأساس لنظرية الأفعال الكلامية، إذ حدَّد المفاهيم الأساسية فيها، وبخاصة مفهوم الفعل الإنجازي الذي أصبح مفهوما محوريا في هذه النظرية، حتى جاء (جون سيرل) فأحكم وضع الأسس المنهجية التي تقوم عليها، وبخاصة فيما يخص الفعل الإنجازي والقوة الإنجازية (نحلة، 2011، ص 48).

وبناءً على هذا، شرع (سيرل) في صياغة منهجية للقواعد التأسيسية، أو "شروط التوفيق/ النجاح"، التي تحكم أفعال الكلام، متخذا من فعل "الوعد" نموذجاً إرشادياً أساسياً. وقد افترض أن فعل الكلام لا يمكن أن يحقق نجاحه الإنجازي إلا إذا استوفى مجموعة محددة من المعايير السياقية والقصدية الصارمة. (الخليفة، 2007، ص.ص 116-117)

وقد لاحظ (سيرل) من تحليله الدقيق أن الشروط الكامنة وراء الأفعال الإنجازية المختلفة تتقاطع في كثير من الأحيان، وقاده هذا التصور إلى افتراض وجود مجموعة أساسية من أفعال الكلام الكلية التي يمكن أن تُرد إليها الغالبية العظمى من المنطوقات الإنجازية بُنيوياً. وقد جادل (سيرل) بأن أفعال الكلام تتمايز بناءً على ثلاثة أبعاد رئيسية: علاقتها بالعالم الخارجي (اتجاه المطابقة)، والقصد الإنجازي (الغاية المرجوة من الفعل)، والحالة النفسية التي يعبر عنها المتكلم (شرط الإخلاص). وبتطبيق هذه المعايير، أعاد (سيرل) تصنيف أفعال الكلام إلى خمس فئات قاطعة: التقريريات، والتوجيهيات، والالتزاميات، والتعبيريات، والإعلانيات (الإيقاعيات). (الخليفة، 2007، ص ص 122-124)

ولإدراك المعنى الذي يقصده المتكلم وقوته الإنجازية، أشار (سيرل) إلى أن السامعين يعتمدون على مجموعة من القرائن التداولية. هذه "الوسائل الدلالية اللفظية" تتجاوز الأشكال المعجمية الصريحة، لتشمل التطريز الصوتي، والتنغيم، والأطر السياقية. وتتضافر هذه العناصر مجتمعة لتمكين المنطوقات -سواء أكانت فعلية أم اسمية- من تحقيق أهدافها التواصلية الدقيقة، وقد اختصر هذا الجانب تحت تسمية (الوسائل الدالة على المغزى الكلامي) أو (دليل القوة الإنجازية) التي تشمل (الخليفة، 2007، ص ص149-150):

أولا: (**لفظ الفعل الإنجازي**) فهذا الفعل يحدد المغزى الكلامي كما في قول القائل: (أنا أحتج...، أنا أعد...، أنا أتهم.. أنا أطلق أو أزوج... إلخ).

ثانيا: (**الصيغة النحوية**): إنَّ أغلب اللغات الطبيعة فيها صيغ نحوية مرتبطة بمغاز كلامية معينة كما في حالة صيغ: الخبر، والاستفهام، والأمر، والتعجب.. التي قد ارتبطت في العرف بإنجاز الأفعال الكلامية: الإخبار، والاستخبار، الطلب، والتعجب على التوالي، مما حدا بعض اللغويين إلى اعتبار هذه المغازي جزءا من المعنى الدلالي لتلك الصيغ.

ثالثاً: هناك العديد من وسائل القوة الإنجازية الأخرى، بعضها مرتبط بالكلام الشفهي مثل **التنغيم**، وبعضها مرتبط بالكلام المكتوب مثل **علامات التنقيط أو الترقيم**.

ثانياً: اتساع مفهوم القوة الإنجازية في أفعال الكلام غير المباشرة

تقدم الكلام عن أنَّ القوة الإنجازية تحدَّد عن طريق الفعل الكلامي المباشر الذي عُرِّف بأنَّه "الفعل الذي يتلفظ به المتكلم في خطابه، وهو يعني حرفيا ما يقول، وفي هذه الحالة يكون المتكلم قاصدا أن ينتج أثرا إنجازيا في المتلقي، وأن ينتج هذا الأثر عبر جعل المتلقي يدرك قصده في الإنجاز" (الشهري، 2004، ص 135). بينما توجد قوة إنجازية ذات معان ضمنية "لا تدل عليها صيغة الجملة بالضرورة، ولكن للسياق علاقة في تحديدها والتوجيه إليها، وتشتمل على معان عرفية وحوارية" (صحراوي، 2005، ص 35). وهو ما تنبَّه إليه (سيرل) إذ رأى أن تحديد القوة الإنجازية لأفعال الكلام لا يتحقق دائما بالاعتماد على (الوسائل الدالة على المغزى الكلامي وشروط الموفقية). وذكر أمثلة من الجمل الخبرية التي لا تتوافر فيها وسائل القوة الإنجازية، ولكن مغزاها الكلامي طلب إنجاز فعل، ومنها ما يأتي في سياق الطلب نحو:

أنت الرجل الذي يستطيع أن يصلح الراديو. (أصلح الراديو)

هذا المقهى يحتاج إلى تنظيف. (نظف المقهى)

هذا البيت غير نظيف. (نظف البيت).

الجو بارد هنا. (أغلق النوافذ أو الباب... أو أشعل المدفأة...) (الخليفة، 2007، ص 158).

وفي سبيل حل تلك المشكلة التي تولدها هذه الجمل أبدى (سيرل) نظريته عن "أفعال الكلام غير المباشرة" التي هي "إستراتيجية لغوية تلميحية يُعبِّر بها المتكلم عن القصد، بما يغاير معنى الخطاب الحرفي، لينجز بها أكثر مما يقوله، إذ يتجاوز قصده مجرد المعنى الحرفي لخطابه، فيعبر عنه بغير ما يقف عنده اللفظ، مستثمرا في ذلك عنصر السياق" (الشهري، 2004، ص 370)، وقد لاحظ أنه في الخطاب الحواري، كثيراً ما يتجنب المتكلمون الأشكال المباشرة والصريحة لصالح الإنجازية المضمرة، وخاصة في الأفعال التوجيهية، إذ يحتم العرف الاجتماعي ومبدأ التأدب أن يحاول المتكلم التوصل إلى مبتغاه بصورة غير مباشرة؛ أي أن يتجنب صيغة الطلب المباشرة المتمثلة باستعمال صيغة الأمر: (أخرج، ناولني، اجلس..). فضلا عن أن الحوار اليومي مليء بالتلويحات والسخرية والاستعارات والإيحاءات والتعريضات، مما يفترق فيه المغزى الكلامي أو القوة الإنجازية عن المعنى الوضعي الحرفي لصيغة الجملة (الخليفة، 2007، ص 158).

ونادراً ما يُظهر التواصل اليومي تطابقا تماثليا صارما بين المعنى القضوي الحرفي وقصد المتكلم. وبدلاً من ذلك، يعتمد الخطاب الطبيعي بكثافة على الاستراتيجيات التداولية "التلميح واللامباشرة"، مما يؤدي إلى ابتعاد القوة الإنجازية عن المحتوى الدلالي السطحي. ولفك شفرة هذا التباين، أكد (سيرل) على ضرورة وجود آليات استدلالية ترتكز على نظرية أفعال الكلام، ومبدأ التعاون ل(غرايس)، والمعرفة الخلفية المشتركة، والقدرة التأويلية العقلانية للسامع، حيث يُشكل الاستلزام الحواري (conversational implicature) الإطار التفسيري الأساسي (الخليفة، 2007، ص ص 158-161).

ويشتمل مبدأ التعاون ل(غرايس) قرارات في أربعة مجالات رئيسة هي: الصلة والنوعية والكمية والأسلوب (الكيف)، فقد وضع (غرايس) قواعد بأسمائها بيانا لفحواها، وهي: قاعدة الصلة؛ قاعدة النوعية؛ وقاعدة الكمية؛ وقاعدة الأسلوب (الكيف)، ويؤدي خرق أي قاعدة من هذه القواعد إلى أنَّ المقصد الكلامي أو القوة الإنجازية المقصودة ليست الحرفية الموجودة في الصيغة الكلامية، بل المستلزمة من السياق وغيره (الخليفة، 2013، ص ص 28-29).

ففي الفعل الكلامي غير المباشر نكون بصدد قوتين إنجازيتين اثنتين لمنطوق جملي واحد، قوة إنجازية حرفية، وقوة إنجازية مستلزمة مقاميا، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ (البقرة، الآية: ٢٣).

نرى أنَّ "المنجز للآية الكريمة داخل السياق القرآني الذي وردت فيه، ينجز فعلين لغويين: فعلاً لغويا مباشرا: الأمر، وفعلاً لغويا غير مباشر: التعجيز، معنى هذا أنَّ الآية الكريمة تحمل قوتين إنجازيتين: قوة إنجازية حرفية، نستدل عليها بمؤشرات مقالية، وتتمثل في معنى الأمر، وقوة إنجازية مستلزمة مقاميا، تفتقر إلى مثل هذه المؤشرات، وتتمثل في معنى التعجيز، الذي ينقلنا بدوره إلى معنى آخر يعد من مستلزماته، نريد به معنى التحدي" (الشنقيطي، 2012، ص 27).

إنَّ الإقرار بحقيقة الأفعال الإنجازية غير المباشرة وبكثرتها النسبية في الخطاب اللغوي يضربان في العمق فرضية وجود علاقة مطلقة ودائمة بين الأساليب اللغوية بوصفها علامات أسلوبية، والأفعال الإنجازية التي يمكن تحقيقها بالفعل بوساطة تلك الأساليب. إنَّ الشيء المؤكد في حالة الأفعال الإنجازية غير المباشرة هو أنَّ الملفوظ يصبح حاملا لقوتين إنجازيتين: إحداهما عارضة، وهي القوة التي يشير اليها بأسلوب الملفوظ، والقوة الثانية هي القوة الأساس التي يقصد إليها المتكلم، وإن كان أسلوب الملفوظ لا يشير إليها؛ لأنَّها بالنظر إلى المقام وسياقه الخطابي يولد في ذهن المخاطب قوة إنجازية غير مباشرة.

ولا بُدَّ من تأكيد حقيقة كثرة الحالات التي يخرج فيها مستعملو اللغة بملفوظاتهم من القوة الإنجازية المباشرة إلى قوة دلالية غير مباشرة تكون هي المقصودة، وذلك يحدث للجملة الاسمية في حالات كثيرة منها: حالة تجد فيها المخاطب يكشف من الملفوظ دلالة من دون أن يكون مقصودا من المتكلم، وحالة نجد فيها المخاطب يكشف من الملفوظ دلالة يقصدها المتكلم متضمنة ذلك الملفوظ من دون أن تكون قرائن مقامية تساعد في ذلك.

وتتميز الإنجازية الحرفية عن المستلزمة بأنَّ الثانية يمكن أن تلغى وتبقى الأولى على حالها، حيث "إنّ الدلالة للأفعال غير المباشرة يجوز أن تلغى، فإذا قال لك صاحبك: "أتذهب معي إلى المكتبة؟"، فقد تُلغي الدلالة الإنجازية غير المباشرة، وهي الطلب؛ ليقتصر الفعل على الدلالة الإنجازية المباشرة، وهي الاستفهام" (الصراف، 2010، ص 98).

ويمكن الاستدلال على القوة الإنجازية المستلزمة من استعمال بعض الظروف الإنجازية واللواحق التي تلحق الجملة كما في خطابات الإعلام: "في ختام هذه النشرة، إليكم إعادة لأهم ما ورد فيها من أنباء".

فالإنجاز هو إعلان انتهاء النشرة، والظرف الإنجازي (في ختام هذه النشرة) كان مؤشرا على قوة الخطاب غير الحرفية؛ أي على نهاية النشرة، إذ دلَّ عليها تلميحا لا تصريحا. ومن الأدوات اللغوية التي تدل على التلميح ما يسمى باللواحق الإنجازية، إذ يوردها المرسل لتوارد القوة المستلزمة لا القوة الحرفية، مثل استعمال (من فضلك) في خطابنا: "هل تذهب معي إلى السوق، من فضلك؟".

مفهوما الجملة الاسمية والقوة الإنجازية.

تعد الجملة المكون الثاني في النظام اللغوي (الاسترابادي، 1415ه)، وقد تعددت أقوال العلماء وتعريفاتهم في تحديد مفهومها، فهي عند العرب القدماء: اللفظ المستقل بنفسه، المفيد لمعناه (سيبويه، 1988، 23 /1). وهي عند المحدثين: الحد الأدنى من الكلمات التي تحمل معنى يحسن السكوت عليه (المخزومي، 1986، ص 31). ولها أقسام مختلفة منها: الجملة الاسمية، ومنها الجملة الفعلية، ومنهم من أضاف الجملة الظرفية، وهناك من أضاف الجملة الشرطية وغيرها. (ابن هشام، 2021، 13/5-15)

والجملة الاسمية في العربية هي ما تقدم فيها العنصر الاسمي، مثل: زيد قائم، وهيهات العقيق، وقائم الزيدان. والمراد من صدر الجملة المسند أو المسند إليه، فلا عبرة بما تقدم عليهما من الحروف، فالجملة من نحو "أقائم الزيدان، وأزيد أخوك، ولعلَّ أباك منطلق، وما زيد قائما" اسمية (ابن هشام، 2021، 13/5-15)، ويتكون تركيبها الأساسي من

جزأين هما: المبتدأ والخبر (المسند إليه والمسند). فالعلاقة بين عنصري الجملة الاسمية علاقة إسنادية.

والجملة الاسمية (Noun Clause) في اللغة الإنجليزية هي الجملة التي تعمل عمل الاسم، ويمكنها شغل وظائف نحوية متعددة تشمل: الفاعل، المفعول به، البدل، ومكمل المبتدأ، فهي مجموعة من الكلمات التي تعمل معاً كاسم. وهي جمل تابعة (dependent clauses)؛ ولكي يتضح معناها، يجب أن ترتبط بجملة مستقلة (independent clause) يمكنها الوقوف بمفردها من الناحية النحوية، أو يتم استخدامها كجزء من الجملة المستقلة. تبدأ غالباً (وليس دائماً) بضمائر وصل نحو: (which, that, who) أو أدوات ربط تابعة مثل (if, whether) وهي تؤدي دور الاسم تماماً في الجملة، وتتميز بأنها النوع الوحيد من "الأسماء" الذي يحتوي على فعل داخله. (Shabo & Shabo, 2025b)

أما القوة الإنجازية فالمقصود منها الغرض الذي تنجزه الجملة الكلامية وما تحقق بفعل: الخبر، أو السؤال، أو الأمر، أو التحذير، أو الوعد، وغيرها. وإن إنجازية الجملة متعلقة بمنطوقها لا بالمحتوى الخبري الذي سمَّاه (أوستن) القوة الإنجازية للفعل (Force Illocutoire) ويشترط لتحقيقها توافّر السّياق العرفي لغةً ومحيطا وأطراف خطاب، وتجدر الإشارة إلى أنَّ القوة (Force) عند أوستين يقابلها الغرض (Purpose) عند (سيرل) ، وأن الغرض الإنجازي عند (سيرل) جزء من القوة الإنجازية وإن كان أهمَّها. أما القوة الإنجازية عنده فهي الشدة أو الضعف اللّذان يعبر بهما عن الغرض الإنجازي في موقف اجتماعي معين، فالقوة درجة، والغرض وظيفة، ولكل غرض درجات مختلفة من القوة بحسب سياقات الاتصال (العبد، 2005أ، ص288).

وإذا كان (أوستن) قد جعل لمقصد المتكلم أهمية كبيرة في تحديد قوة الفعل الكلامي الإنجازية، فإنَّ (سيرل) يرى أنَّ قوة المنطوق الإنجازية تحقيق لمقصد المتكلم، وأنَّ هذه القوة حصيلة لتأويل المستمع للمنطوق (العبد، 2005ب، ص 141). وتأويله أو تفسيره لهذه المقاصد تمثل جزءا من المعنى الذي يراه (ديكرو) في قوانين الخطاب؛ لأن الكشف عن هذه

المقاصد مرهون بملابسات الكلام (المقام والموقف) حتى نسلم بأنَّ المعنى لا يستنبط مباشرة من الدلالة (مجدوب، 2012، ص40)، فقد تصلح جملة خبرية نحويا لإنجاز أعمال مختلفة أيما اختلاف، فعلى سبيل المثال جملة (الطقس حار) تصلح للإثبات، أو التذكير، أو توجيه لوم، أو تقديم شكر، أو الطلب، أو الرجاء الخ بحسب مقاصد المتكلم وسياق الكلام، لذلك ينبغي ألا نكتفي بمعرفة الجملة، بل ينبغي معرفة المقام الذي أنجزت فيه لمعرفة ما يفعله من يتلفظ بها.

وتؤشر القوة الإنجازية لفعل خطابي ما إلى الخصائص المعجمية والصورية لذلك الفعل الخطابي التي تحدد استعماله علاقيا لتحقيق قصد تواصلي ما، وهناك قوة إنجازية بسيطة ومركبة لجملة الفعل الكلامي، والمقصود منها مواكبة قوة إنجازية واحدة أو أكثر للجملة نفسها (مليطان، 2014، ص 117)، فالمعنى لا يتوقف على الجملة نفسها، بل على السياق والعلاقة بين المتكلم والمستمع. وتقسم من حيث الدلالة المباشرة على الغرض الإنجازي إلى:

ا. قوة إنجازية حرفية: وهي القوة التي تطابق النمط الجملي ومدلول عليها بطريقة مباشرة بصيغة العبارة اللغوية في مختلف المقامات التي يمكن أن ترد فيها كالإخبار والسؤال والأمر... مثل: آمرك بالذهاب. وهو إنجازية الفعل الكلامي المباشر.

ب. وقوة إنجازية مستلزمة: وهي غير مطابقة للنمط الجملي تتولد طبقا لمقتضيات المقام والناتجة عن نوعين مختلفين من الاستلزام: "استلزام مقالي" و"استلزام مقامي"، وهو الفعل الكلامي غير المباشر مثل: (أوتزوجت هندا؟!) و(الحر شديد خانق في هذه الحجرة).

ج. وهناك قوة إنجازية صريحة: وهي المعبّر عنها بواسطة فعل من أفعال القول ("قال"، "سأل"...) شريطة أن يكون مستعملا استعمالا إنجازيا (لا وصفيا)، مثل: أسألك هل ستزور عمك؟، وهناك قوة إنجازية ضمنية وهي غير المعبّر عنها بفعل من أفعال القول – هل ستزور عمك؟ (مليطان، 2014، ص ص 117–118).

يتفق البحث مع من يرى نظريًا أنَّ الجملة الاسمية ليست النمط الأكثر شيوعًا في تحقيق القوة الإنجازية (Illocutionary Force)؛ لأنَّ الأفعال الإنجازية غالبًا ما ترتبط بالجمل الفعلية التي تحتوي على فعل واضح يدل على الحدث، مثل الأمر، الوعد، الاعتذار، التهديد، ... ومع ذلك، يمكن للجملة الاسمية أن تؤدي أفعالاً إنجازية تداوليًا وبلاغيًا؛ إذ لا وجود لفاصل بين القوة الإنجازية والمحتوى القضوي على مستوى التنظير، وإنما يكون ذلك الفصل أمرا ماثلا ضمنا على المستوى الإجرائي، فمن خلال السياق، النبرة، العلامات اللغوية المرافقة وغيرها، تكون الجملة الاسمية قوة إنجازية. إذ يصبح لها تأثير على الواقع، مما يجعلها تؤدي وظيفة ما، مثل: الأمر، الإقرار، الإعلان، النفي، أو التهديد. فالجملة الاسمية تستعيض عن الفعل الإنجازي بالتركيز على المطلوب بطريقة تداولية. والسؤال الذي يعرضه البحث هو كيف يمكن للجملة الاسمية أن تمتلك قوة إنجازية؟ وللإجابة عن هذا السؤال، نقول: لا يختلف اثنان على أنَّ الجملة الاسمية أداة تقريرية في الخطاب اللغوي لها قوة إنجازية ضمنية، ويتمثل ذلك في قولنا مثلا:

1. "أنا مسؤول عن هذا القرار". القوة الإنجازية: إقرار أو التزام. ولمن يسأل كيف تمتلك الجملة الاسمية قوة إنجازية هنا؟ نقول: لا تحتوي الجملة على فعل إنجازي مباشر، لكنها تؤدي وظيفة إنجازية ضمنيًا، إذ يدرك المتلقي أنَّ المتحدث يتحمل المسؤولية أو يقرّ بها. ولكي يمتلك هذا الملفوظ قوته الإنجازية الضمنية، يجب أن تتحقق "شروط الإخلاص" (Sincerity Conditions) ؛ أي أن يكون للمتحدث صلة فعلية بصناعة القرار، وأن يكون واعياً بتبعاته، فإذا انتفت هذه الشروط (كأن يقولها شخص لا علاقة له بالقرار)، يتحول الملفوظ إلى فعل كلامي "لغو" لا يترتب عليه أي أثر تداولي.

2. الجملة الاسمية بوصفها أمرا أو توجيها تداوليا، مثال: "الهدوء مطلوب في القاعة". القوة الإنجازية: أمر غير مباشر، يخدم الوجه الإيجابي للمخاطبين حسب نظرية التأدب (Politeness Theory)، تكافئ: "يجب أن تلتزموا بالهدوء". كيف تعمل هذه الجملة

الاسمية؟ المتكلم لا يستعمل فعلاً، أمرًا (مثل: اصمتوا)، لكنَّ السياق يجعل الجملة تحمل قوة إنجازية تُفهم ضمنيًا على أنَّها توجيه أو طلب، فالقوة الإنجازية المستلزمة تداولياً (Illocutionary Force) هنا تعتمد كلياً على "شرط المقصد والاعتراف"؛ فالجمهور يدرك "سياق المكان" (قاعة امتحان، قاعة محكمة، محاضرة) ويعترف مسبقاً بأنَّ هذا المكان يفرض نمطاً سلوكياً معيناً، مما يجعل الجملة الاسمية التقريرية تؤدي وظيفة "الأمر التوجيهي".

3. الجملة الاسمية إعلانا أو قرارا مؤثرا في الواقع، مثال: "أنت طليق". القوة الإنجازية: إعلان قانوني يغيّر الحالة الاجتماعية للمخاطَب. كيف تعمل هذه الجملة الاسمية؟ بعض الجمل الاسمية تمتلك قوة إنجازية مباشرة لأنها تغير الواقع بمجرد التلفظ بها، كما هو الحال في الخطاب القانوني أو الديني، فالملفوظ هنا لا يستمد قوته الإنجازية من بنيته اللغوية الاسمية، بل من سلطة القائل (الزوج في الفقه الإسلامي، أو القاضي في سياق آخر)، وتكون شروط الموفقية القانونية والدينية هنا صارمة للغاية: فالشرط الإجرائي: أن يصدر اللفظ من مالك سلطة الطلاق شرعاً وقانوناً، والشرط السياقي: أن يقع في ظروف بيئية ونفسية يعتد بها القانون (انتفاء الإكراه الشديد أو عوارض الأهلية كالعته مثلاً في بعض القوانين). وإذا اختل أحد هذه الشروط، يرتد الملفوظ إلى مجرد "جملة اسمية لاغية" لا قوة إنجازية لها، ولا يتغير بها الواقع الاجتماعي للمخاطب.
4. الجملة الاسمية أسلوبا بلاغيا للتوكيد والتأثير العاطفي، مثال: "أنا بريء". القوة الإنجازية: إعلان براءة أو نفي تهمة. كيف تعمل الجملة الاسمية؟ المتكلم هنا لا ينقل معلومة فقط، بل يستعمل الجملة الاسمية لإحداث تأثير نفسي على المتلقي (كالقاضي أو الجمهور في المحكمة).

هل الجملة الإسمية إنجازية مثل الجملة الفعلية؟

في الخطاب اللغوي يكون للجملة الفعلية الأثر الأكثر وضوحًا في تحقيق الأفعال الإنجازية، لأنَّها تحتوي على فعل يدلُّ على الإنجاز اللغوي، مثل "أعدك"، "أقسم"، "أعلن"،

"أطلب"، **ولكنه من الممكن أن تكون الجملة الاسمية إنجازية عندما يُفهم معناها من السياق والقرائن التداولية**، سواء كان ذلك في **الخطاب السياسي، القانوني، الديني، الاجتماعي** وغيرها، ويمكن بيان مواضع القوة الإنجازية للجملة الاسمية في مواقف مختلفة بأمثلة متعددة نحو:

- في الخطاب القانوني والقضائي (الجملة الاسمية بوصفها إعلانا أو قرارا رسميا):
- "**أنت بريء**"، إعلان قانوني لتبرئة شخص، (إعلان يغيّر الوضع القانوني)
- "**العقد ساري المفعول**"، تصريح قانوني بتثبيت العقد، (إلزام قانوني).
- "**الحكم نهائي**"، إعلان قضائي (إغلاق القضية قانونيًا).

فهذه الجمل تغيّر الواقع القانوني بمجرد التلفظ بها، مما يمنحها قوة إنجازية، فالمتلقي لا يحتاج إلى أفعال مثل "أقرر" أو "أعلن"؛ لأنَّ **السياق القانوني** يعطيها هذه الوظيفة.

- في الخطاب الديني والطقوسي (الجملة الاسمية إجراءً دينيا):
- "**أنت طاهر**"، إعلان ديني يغيّر الحالة الروحية للشخص.
- "**أنت صائم**"، إقرار ديني بحالة الشخص.
- "**هذا حرام**"، إعلان شرعي لتحريم فعل معين.

فهذه الجمل تؤدي وظائف دينية إنجازية؛ لأنَّها تستعمل في مواقف شرعية وطقوس دينية معينة تؤثر على وضع الشخص الديني أو القانوني.

- في الخطاب السياسي (الجملة الاسمية أداة حجاجية أو سلطوية)
- "**الأمة بخير**"، إعلان تطميني من زعيم سياسي (**تهدئة الرأي العام**).
- "**الحرب قائمة**"، إعلان حالة حرب(**تغيير الوضع السياسي**).
- "**الانتخابات نزيهة**"، تأكيد رسمي **لإقناع الجمهور بصحة العملية الانتخابية**.

فهذه الجمل تنقل رسالة قوية من دون الحاجة إلى فعل إنجازي صريح. وتفسَّر بناءً على السياق السياسي والنبرة والظروف المحيطة.

عندما يكون **السياق والمعطيات التداولية** كافية لفهمها كفعل كلامي: مثل الصمت مطلوب، **هنا القوة الإنجازية يجب أن تصمت، وهو غير مباشر، على الرغم من أنَّ الجملة الاسمية لا تحتوي على فعل إنجازي صريح، إلا أنَّها يمكن أن تمتلك قوة إنجازية قوية في هذه المواقف.**

في الحياة اليومية (الجملة الاسمية كأمر غير مباشر أو تهديد ضمني) "**الصمت مطلوب**". تكافئ "يجب أن تصمت"، **أمر غير مباشر**. "**المفتاح معي**". تكافئ "لن تحصل عليه"، **تهديد ضمني**. "**الطعام جاهز**" تكافئ "تعال وتناول الطعام" **دعوة غير مباشرة**.

مظاهر القوة الإنجازية للجملة الاسمية في الخطاب اللغوي.

الإنجازيات المستلزمة في الأساليب اللغوية

تبيّن مما تقدم أنَّ الإنجازية بالمعنى الواسع للكلمة، الذي توصل إليه (أوستن) في نهاية المطاف تقابل (الإنشاء) لدى اللغويين العرب. فقد توصل (أوستن) إلى أنَّ كل المقولات التي لا تحتمل التصديق والتكذيب هي إنجازية. وقد وسع مفهوم الإنجازية ليشمل (الإنجازية الصريحة) و(الإنجازية الأولية) أو (غير الصريحة) على السواء. فالإنجازيات من النوع الذي تتوافر فيه المواصفات الشكلية التي ذكرها هي إنجازيات صريحة كما في حالة ألفاظ العقود والفسوخ، أما الإنجازيات التي لا تتوافر فيها تلك الشروط الشكلية فهي الإنجازيات غير الصريحة وهي تقابل لدى العرب بقية أنواع الإنشاء الطلبي أو غير الطلبي، وعليه فإنَّ الإنجازية بهذا المعنى الواسع تقابل الإنشاء بكل أنواعه، بل إنَّ (أوستن) قد انتهى به الأمر إلى القول بأنَّ الإخبار أيضا نوع من الإنجاز لفعل كلامي، وبهذا المعنى الواسع للمصطلح لا تغطي الإنجازية الإنشاء بنوعيه فحسب، بل وتغطي الخبر أيضا بحيث نستطيع أن نقول إنَّ (نظرية أفعال الكلام) تقابل لدى اللغويين العرب (مبحث الإنشاء والخبر) (الخليفة، 2007، ص ص 31-32).

وقد كان العلماء الأوائل على دراية تامة بهذه الظواهر التداولية، كما يتجلى، على سبيل المثال، في المنجز البلاغي للسكاكي، فقد حصر مبحث "الإنشاء الطلبي" (الطلب) في خمس

مقولات رئيسية هي: التمني، والاستفهام، والأمر، والنهي، والنداء. ورأى أن هذه الأساليب تؤدي معانيها الأصلية (الحرفية) عندما يوظفها المتكلم في ظل شروط ملائمة وسياقات مناسبة (السكاكي، 1987، ص ص 303–305).

غير أن هذه الصيغ، عندما تنزاح عن غرضها الأصلي، فأنها تغدو قادرة على توليد معانٍ إنجازية بديلة (مستلزمة) تتلاءم مع الموقف التواصلي. ويورد السكاكي (1987) أمثلة توضح كيف يمكن لصيغة أن تنوب عن أخرى؛ فقد يتضمن التمني معنى الاستفهام، أو قد يفيد الاستفهام معنى التمني، وهلم جرا. ويوضح أن هذا الانزياح الدلالي يعتمد كلياً على ما يصطلح عليه ب "قرائن الأحوال".

ويرى أحمد المتوكل: "أنَّ الفكر اللغوي العربي القديم يتضمن ثنائية الخبر الإنشاء التي تشبه إلى حد كبير الثنائية الأوستينية الوصف/الإنجاز كما يدل على ذلك تعريف القدماء في الخبر والإنشاء فالجملة الخبرية عندهم هي التي تحتمل الصدق والكذب في حين أنَّ الجملة الإنشائية هي الجملة المتوافرة فيها خاصيتان: (أ) أنها لا تحتمل الصدق والكذب. (ب) مدلولها يتحقق بمجرد النطق بها. ويصل التشابه بين الثنائية القديمة والثنائية الحديثة إلى أنَّ اللغويين العرب القدماء اقترحوا تقليص الجمل اللغوية برد الجمل الخبرية أو الإنشائية إلى جمل خبرية أو جمل إنشائية كما فعل أوستين نفسه" (المتوكل، 2010، ص 42).

ومن خلال ما تقدم الكلام عنه من إنجازيات الأفعال الكلامية غير المباشرة يمكن أن نجد القوة الإنجازية المستلزمة في الجملة الاسمية بأسلوبيها الخبر والإنشاء، وسنقصر حديثنا هنا عن المعاني المستلزمة وغير المباشرة للقوة الإنجازية. ويكون البحث عنها في مواردها اللغوية المتعددة التي تشير إلى الإنجاز قصدياً أو من خلال السياق، سواء أكان السياق لغوياً أم مقامياً، وسواء أكان فعل الإنجاز مضمن لفظه أو معناه في الجملة الاسمية أو أنَّ هناك مشيرات لفظية أو معنوية تدل على الإنجاز.

أولاً: إنجازية الجملة الاسمية في الإنشاء.

الإنشاء في اللغة: مصدر لفعل «أنشأ»، وله معان: منها: الإيجاد والاختراع، والخلق، والشروع، والابتلاء. وفي الاصطلاح: هو الكلام الذي يحصل مضمونه بمجرد التلفظ به، وهو لا يحتمل الصدق والكذب لذاته، ولم يكن لنسبته خارج قصد حكايته. وتوضيحه أنه سبق وأن ذكرنا أنَّ لصيغة الخبر نسبة تعرف من الخارج يقصد المتكلم بالكلام حكايتها والإخبار عنها، ويكون الخبر صادقا بمطابقتها، وكاذبا بمخالفتها، وأما الإنشاء، فلا يقصد به الحكاية عن نسبة متحققة في الخارج، بل المقصود به إحداث مدلوله. (الحسيني، 1427ه، ص49)

وسيكون الكلام هنا عن موارد القوة الإنجازية للجملة الاسمية في أسلوب الأمر والنهي والاستفهام، ولعلها أهم الموارد التي وردت في أساليب الخطاب اللغوي، ولاسيما العربية منها، وفيها يستطيع المرسل أن ينجز أكثر من فعل من الأفعال اللغوية في آن واحد.

وقد يرد الأمر قوة إنجازية مستلزمة تدل على الطلب في صيغة الجملة الخبرية، كقوله تعالى: ﴿**وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ**﴾ (البقرة: 233). فالمراد من هذا الخبر هو أمر الوالدات بإرضاع أولادهن لا الإخبار عن إرضاعهن.

وتخرج دلالة القوة الإنجازية الاستفهامية إلى التوجيهية في استعمال (هل) مع الجملة الاسمية فهي أدل على الطلب من استعمال الهمزة مع الجملة الاسمية، كما في قوله تعالى: ﴿**فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ**﴾ (الأنبياء: 80)، فسياقها اللغوي أدل على الطلب من استعمالها مع الجملة الفعلية، نحو (فهل تشكرون) وذلك لأن الجملة الاسمية تدل على الثبوت بعكس الجملة الفعلية التي تفيد الحدوث والتجدد، فيكون القصد من استعمال (هل) مع الجملة الاسمية في الدلالة على الطلب؛ هو إبراز ما سيوجد في صورة الموجود الثابت (الحسيني، 1427ه، ص70).

وتستلزم القوة الإنجازية في السؤال النفي، وذلك عندما تأتي أداة الاستفهام للنفي، لا لطلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل، كقوله تعالى: ﴿**هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلاَّ الْإِحْسَانُ**﴾ (الرحمن: 60)؛ أي ليس جزاء من أحسن في الدنيا إلا أن يحسن إليه في الآخرة.

وقد يكون الإنجاز معها متضمناً للتوبيخ والأمر الوجوبي، كقوله تعالى: ﴿**فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ**﴾ (المائدة: 91)، وسياق الآية جاء ختاما لقوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ**﴾ (المائدة: 91)، فقد عدل النص عن صيغة فعل الأمر الصريح (انتهوا) إلى الاستفهام بالبنية الاسمية، وفي السياق التداولي، يمتلك المتكلم (الله جل وعلا) "السلطة التشريعية العليا" وبعد أن تستعرض الآية مفاسد الخمر والميسر وإيقاع العداوة والبغضاء يأتي سياق الأمر، مما يجعل "شرط المقصد والاعتراف" مستوفى تماماً في أذهان السامعين، والصيغة الاستفهامية هنا تخرج تداولياً لتفيد أن الحجج والبراهين قد بلغت ذروتها في القطع والثبوت، حتى لم يبقَ أمام السامع إلا أن يجيب بلسان حاله بالامتثال الفوري، فصار التساؤل توبيخاً صريحاً على أي تراخٍ قد سلف.

ومنه قوله تعالى موبخاً ومقرعاً الكفار على تمسكهم بعبادة الأوثان: ﴿ **أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ** ﴾ (الأعراف: 195) فالصيغة الإنشائية الفعلية الصريحة المقابلة: (لا تَعبُدوا ما لا يمشي ولا يَبطِش) بوصفه نهيا صريحا، أو (ذُموا أَصنامَكم لِعجزِها) بوصفه أمرا مباشرا، وهذا الإنجازية بأسلوب الأمر المباشر أو النهي المباشر قد يولد عنادا ونفورا ممن ورث من آبائه عبادة الأصنام، فجاء العدول إلى الجملة الاسمية الاستفهامية، ليحمل قوة إنجازية مستلزمة للتوبيخ والتعجيز؛ حيث تحولت المحاجة من إملاء الأوامر إلى دفع المخاطبين للاعتراف القهري بعجز آلهتهم المزعومة.

وقد يخرج الاستفهام لغرض التعجيز، كقوله تعالى: ﴿**فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ**﴾ (إبراهيم: 21). وهنا يُوجه المشركون الضعفاء التابعون سؤالهم لزعمائهم في الحياة الدنيا، وهم يعلمون عجزهم التام عن دفع العذاب في يوم القيامة، مما يخرق شرط "الطلب الحقيقي للعلم"، فالقوة الإنجازية المستلزمة مقامياً هنا هي التعجيز والتقريع؛

والمقصد التداولي الحواري ليس استدرار النصرة، بل إعلانا لثبوت عجز المستكبرين الأبدي في الدار الآخرة.

وقد تأتي قوة إنجاز السؤال متضمنة قوة أخرى مستلزمة هي حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده ثبوتا أو نفيا، ومن التقرير بمعنى طلب الاعتراف في قوله تعالى: ﴿**آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ (النمل: 59)، أو التعظيم، كما في قوله تعالى: ﴿**هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ**﴾ (الفجر: 5).

ويأتي الاستفهام منجزاً دلالة التمني، ويكون ذلك عندما يكون السؤال موجها إلى ما لا يرجى حصوله إما لاستحالته، أو لكونه لا يطمع في نيله، كقوله تعالى: ﴿**فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ**﴾ (الأعراف: 53)، فليس الغرض الاستفهام عن وجود شفعاء لهم؛ إذ هم يعتقدون أن لا شفعاء لهم، فهم يتمنون لو يكون لهم شفعاء يشفعون لهم (الحسيني، 1427ه، ص ص90–91). ومن الأغراض التعجب أيضا نحو قوله تعالى: ﴿**مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا**﴾ (الكهف: 49)، فقد أتى الاستفهام منجزاً دلالة التعجب لأن المقام مقام تعجب المتكلم من إحصاء الكتاب الشامل.

وتخرج دلالة الإنجاز في السؤال إلى دلالة التهكم والاستهزاء ويكون ذلك في مقام يريد فيه المتكلم السخرية بالمخاطب كقوله تعالى على لسان قوم شعيب ﴿ **أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ**﴾ (هود: 87)، فليس الاستفهام هنا محمولا على معناه الحقيقي وإنما المقصود هو السخرية والاستهزاء، والصيغة الإنشائية الصريحة المقابلة: (نَسْخَرُ مِنْ صَلَاتِكَ) باستعمال فعل السخرية المباشر، وهذا التناقض الصارخ بين المعنى الحرفي الظاهر (المدح بالرشد) والمقام السياقي المتمثل في المحاربة والرفض، يولّد قوة إنجازية مستلزمة تداولياً هي التهكم والاستهزاء الشديدين.

وتخرج دلالة الإنجاز في السؤال إلى دلالة التحقير، ويكون حينما يخرج الاستفهام عن معناه الأصلي للدلالة على صغر شأن المسؤول عنه، مع معرفة المستفهم بواقع حاله، كقوله تعالى على لسان الكفار: ﴿**أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً**﴾ (الفرقان: 41). وكقوله تعالى: ﴿**أَهَذَا**

الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ﴾ (الأنبياء 36). وهذا كقول الرجل لصاحبه الذي لا يشك في جهله: «أجاهل أنت؟!» توبيخاً له، وتقبيحاً عليه، ومعناه: أني قد نبهتك على حالك، فانتبه لها، واحتط لنفسك منها، ودلالة الاستفهام على التحقير من إطلاق اسم الملزوم وإرادة اللازم؛ لأن الاستفهام عن الشيء يستلزم الجهل به، والجهل به يستلزم تحقيره. والفرق بين التحقير والتهكم هو أنَّ التهكم قد يكون بمن هو عظيم في نفسه بخلاف التحقير.

ثانياً: إنجازية الجملة الاسمية في الخبر.

الخبر: وهو كل كلام يصح وصفه بالصدق أو الكذب لذاته، كقولك: (علي شجاع) فإنه خبر صادق فيما إذا كان مطابقاً للواقع، وكاذب فيما إذا خالفه، ويلاحظ أنَّ الموصوف بالصدق أو الكذب هو ذات الخبر، فلا تدخل بعض الإنشاءات الموصوفة بالصدق أو الكذب باعتبار دلالتها الالتزامية، فإذا تمنى زيد شيئاً هو واجد له، نصفه بأنه كاذب، مع أنَّ التمني من الإنشاءات، وقد اتصف بالكذب لا باعتبار ذاته، بل باعتبار ما يلازمه؛ فإن لازم التمني هو الإخبار عن الفقدان، فمن يتمنى يخبر بحاجته وفقدانه، فإذا رميناه بالكذب نكون قد كذبنا خبره، لا إنشاءه، فلا يوجد إنشاء يوصف به لذاته (السكاكي، 1987، 166–167).

ومن مظاهر الإنجازيات المستلزمة في الأسلوب الخبري استعماله لإنجاز فعل التوجيه، ولكن الداعم لذلك الاستعمال هو تمتع المتكلم بالسلطة، مثل: (الطلاب الناجحون ينتظرون هنا، والطلاب الراسبون يغادرن إلى غرفة الاجتماعات). فالمسوغ للتوجيه بالأسلوب الخبري هو وجود السلطة، فلا يستطيع المرسل الذي لا يملك السلطة أن يستعمل هذا الأسلوب. وتؤدي السلطة هنا دور التقليل من المجازفة في استعمال هذه الإستراتيجية في إنتاج الخطاب. وذات السبب هو ما يسوغ استعمال الأمر والنهي الصريحة (الشهري، 2004، ص 347). كما أنَّ هناك ألفاظا معجمية يستعملها المرسل للنهي، وتسمى ألفاظ النهي ويستوي في ذلك استعمالها بأي صيغة صرفية، أي باستعمال اسم المفعول أو المصدر، أو غير ذلك، مثل: "هذه منطقة محظورة"، أو "هذه المواد محرم لمسها"، أو "ممنوع الاقتراب" (الشهري، 2004، ص351).

ويذكر الشهري (2024) أن من وسائل القوة الإنجازية غير المباشرة ذكر العواقب، وهي من الآليات الإقناعية التي يستعملها المرسل ليوجه المرسل إليه وفق ما يريده هو؛ لذلك، فإنه يعمد إلى درجة أقل، وهي ذكر العواقب المترتبة، أو ذكر الشواهد على ما يذهب إليه، مثل: (مذاكرتك لدروسك خير لك). فهذا إنجاز فعل حض من الأب لابنه، أو وصف الفعل بالشر، مثل: (مخالطتك رفقاء السوء شر عظيم)، وهذا إنجاز فعل نهي من الأب لابنه. أو وصف الفعل بأنه سبب لنتيجة سيئة، مثل: (التدخين من الأسباب الرئيسة في سرطان الرئة) أو (نظرك إلى محارم غيرك إثم عليك).

ومن القوة الإنجازية غير المباشرة في الجملة الخبرية، قوله تعالى: ﴿**وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ**﴾ (البقرة: 228). فالآية هنا أنجزت الأمر والتوجيه في صورة الخبر، وكأن الأمر مفروغ منه وموجود فعلا، والآية تخبر عنه. وكذاك قوله تعالى: ﴿**وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ**﴾ (البقرة: 233)، ففعل الأمر الصريح (أرضعن) يقتضي مجرد طلب الفعل، أما تحويل الأمر إلى جملة اسمية خبرية، فإنه ينقل الحدث من حيز "الطلب" إلى حيز الواقع المفروغ منه والمسلَّم به؛ مبالغةً في وجوب التنفيذ وتأكيداً على أن هذا الإرضاع حق فطري ثابت لا مجال للتهاون فيه.

ومن ذلك قوله تعالى في أحكام الميراث: ﴿**وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ**﴾ (الأنفال: 75) فالصيغة الإنشائية الصريحة المقابلة هي: (قدّموا أُولي الأرحامِ في الميراث) أو (ليَرِث أُولو الأرحام بعضُهم بعضاً) بصيغة فعلية مباشرة، وهذه الصيغة المباشرة (قدّموا، ليرث) تجعل الوجوب معلقاً على فِعل المكلفين وامتثالهم، أما صياغة التشريع بالجملة الاسمية التقريرية، فصيَّر الولاية بين الأقارب حقيقة تشريعية ثابتة ومستقرة لا تملك الجماعة المسلمة إلا التسليم بها.

وأيضا القوة الإنجازية غير المباشرة في الحث على السعي وتحريك الهمة، وهو الذي نستفيد منه الحث على القيام بأمر مشروع ليقوم به المخاطب، أو هو تنبيه المخاطب على أمر محمود ليقوم به، ومنه قوله تعالى: ﴿**لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ**﴾ (يونس: 26)،

فالجملة اسمية تقريرية تشتمل على تقديم شبه الجملة (للحصر والاختصاص) والمبتدأ المؤخر (الحسنى)، والفارق التداولي والبلاغي بينها والصيغة الإنشائية الصريحة المقابلة: (أَحْسِنُوا لتنالوا الحسنى)، أن الصيغة الصريحة (أحسنوا) توجب على المخاطب العمل المشروط بزمن، أما الجملة الاسمية المستلزمة للأمر، فإنها تفيد ثبوت الجزاء واستقراره وأنه حق لازم من قِبل المتكلم (الله عز وجل)، فنقل العبارة إلى الاسمية يثير همَّة المخاطب ودفعه للامتثال والعمل من دون تردد عبر حثه إلى الإحسان عن طريق عرض "النتيجة الثابتة المضمونة".

وقد يتولد نهي مستلزم من الجملة الاسمية الخبرية كقوله تعالى: ﴿ذلكَ الكِتابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: 2) جاء النص ب (لا) النافية للجنس الداخلة على الاسم (ريب)، وهي بنية اسمية قطعية تفيد النفي المطلق والاستغراق. والصيغة الإنشائية الفعلية المقابلة: (لا تَرتابُوا فيه) توجه الخطاب إلى المكلفين وتنهاهم عن إحداث الارتياب والشك في حقيقة الكتاب، أما الجملة الاسمية (لا ريبَ فيه)، فقد نفت ذات الريب والشك عن الكتاب بصفة دائمة وثابتة في الأزمنة كلها، فالقوة الإنجازية المستلزمة للنهي في الجملة الاسمية أقوى مما لو جاءت بصيغة فعلية؛ لأنها تنفي جنس الارتياب من أساسه، بدلاً من مجرد نهي المخاطبين عن ممارسة الفعل.

وتحمل الجملة الاسمية قوة التحذير في الخبر الذي يفيد تنبيه المخاطب على أمر مكروه ليتجنبه، ومنه قول الخطيب لجمهوره: (العدو يمرح في أرضنا، ونحن بين عازف وخائف)، وقول زهير بن أبي سُلمى في معلقته يحذر من عواقب الغدر ونقض الصلح:

وَمَا الحَرْبُ إِلاَّ مَا عَلِمْتُمْ وَذُقْتُمُ *** وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالحَدِيثِ المُرَجَّمِ (بن أبي سلمى، 2008: ص 68)

فاستعمل الشاعر أسلوب القصر الاسمي بالنفي والاستثناء (وما الحرب إلا ما علمتم)، وهي جملة اسمية تقريرية محضة، مستلزمة لقوة التحذير المباشر (احذروا الحرب)، وجاء العدول إلى الجملة الاسمية؛ ليجعل التحذير نابعاً من الافتراض المسبق والحقيقة

الموضوعية الثابتة للحرب التي يؤمن بها السامعون (ما علمتم وذقتم)، مما يجعل التحذير أكثر إقناعاً في نفس المتلقي مقارنة بالأمر المباشر.

وتخرج الجملة الاسمية إلى إنجاز الوعد الحتمي نحو قوله تعالى في بيان مصير الأبرار تأكيداً للوعد الإلهي: ﴿**إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ**﴾ (الانفطار: 13)، فلو جاءت بصيغة الفعل الإنجازي المباشر للوعد (أَعِدُ) لكانت الدلالة مختصة بالتزام الله تعالى بالحدث مستقبلاً في الآخرة. بينما جاء العدول إلى الجملة الاسمية المؤكدة بظرفية الاحتواء (لفي)، لنقل الوعد إلى حيز "الواقع الكائن المحقق"؛ حتى كأن الأبرار مستقرون في النعيم حال التلفظ بالآية، مبالغةً في حتمية وقوع الجزاء والوعد الإلهي.

ومن الأساليب إنجاز التوبيخ: كقولنا لتارك الصلاة: (الصلاة ركن من أركان الإسلام) أو قولك للعاثر: (الشمس طالعة).

وتأتي الجملة الخبرية في سياق الحث على الصبر عندما تقرأ قوله تعالى: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ**﴾ (العنكبوت: 57)، عند من فقد عزيزا مواساة وحثا على الصبر.

ومن انجاز الجمة الإسمية إعلان البراءة في قوله تعالى على لسان امرأة العزيز: ﴿**أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ**﴾ (يوسف: 51) فالجملة "وإنه لمن الصادقين" جملة اسمية جاءت لأسلوب الخبر الإنكاري مؤكدة ب (إنّ) ولام الابتداء المزحلقة؛ لتقديم الصدق صفة ملازمة وثابتة ليوسف، فالقوة الإنجازية هي إعلان البراءة المطلقة ونفي التهمة تداولياً بأقوى أساليب التوكيد البلاغي، وكان الأثر المستهدف هنا هو إقناع "الملك" والحاضرين ببراءته ونفي التهمة التي ألصقتها به.

هذه أهم القوى الإنجازية لمعاني الخبر التي يكثر تداولها في الكلام؛ لأنَّ المعاني التي يحتملها لفظ الخبر ويدل عليها لا حصر لها، وأكثر من أن تستقصي، وهذه الأغراض التي يخرج إليها الأسلوب الخبري متعددة ومتنوعة، فالأصل في الخبر أن يلقى لغرضين هما:

فائدة الخبر، ولازم الفائدة، غير أنه كثيراً ما يخرج على خلاف مقتضى الظاهر مجازاً؛ لأغراض تفهم من السياق.

الخاتمة

سلطت هذه الدراسة الضوء على الآليات التداولية والبلاغية التي تُحقِّق بها الجمل الاسمية قوة إنجازية، متحديةً بذلك المنظور اللساني التقليدي الذي يجعل الفعل محور نظرية أفعال الكلام. وتتضافر نتائج هذا البحث لتؤكد تكامل التراث العربي مع المنجز التداولي الحديث، وهو ما نوجزه في النقاط الآتية:

1. في حين أن المساهمات التأسيسية لكل من "أوستن" و"سيرل" قد أرست الإطار العام للأفعال الإنجازية، واستعانت بمبادئ "غرايس" الحوارية ومفهوم الاعتماد على السياق، فإن الدراسة أثبتت أن هذه المفاهيم التداولية لم تكن غائبة عن التراث اللغوي والبلاغي العربي، وإنما تجلت هذه القوة الإنجازية بوضوح وعمق في المنجز البلاغي القديم عبر مباحث "أساليب المعاني"، و"المجازات اللغوية"، و"صيغ الطلب والأوامر". وهذا التكامل يثبت أن النظريات الحديثة – التي ركزت في بداياتها على المحمولات الفعلية – يمكن مدّ نطاقها وتعميقها من المنظور البلاغي العربي لتشمل البنيات الاسمية، متجاوزةً بذلك الحدود اللغوية الخاصة لتصل إلى عمق اللسانيات العامة.
2. يكشف التحليل أنَّ الجملة الاسمية في الخطاب اللغوي، قادرة على تحقيق وظيفة إنجازية تُنشئ الواقع الاجتماعي، والديني، والقانوني، وتعيد صياغته، وتغييره. ففي سياقات خطابية معينة، كالتشريعات القانونية أو التكاليف الدينية، تمارس الجملة الاسمية قوة توجيهية، أو إعلانية، أو إقرارية، أو تحذيرية لا تقل تأثيراً عن نظيراتها الفعلية. ويتحقق غرضها الإنجازي عبر تفاعل دقيق بين الشكل النحوي للجملة، والسياق التداولي المتبادل، والسمات المصاحبة للغة كالتنغيم، مما يوجه السامع نحو إدراك المقصد الإنجازي المراد.

3. حددت الدراسة بنية إنجازية ثنائية المستوى داخل الجمل الاسمية تعتمد بالأساس على سياقها الأسلوبي. ففي أساليب "الإنشاء"، يتجسد حضور مزدوج يحمل قوة إنجازية حرفية صريحة وقوة أخرى مضمرة مستلزمة من السياق. أما في أسلوب "الخبر"، تكون الغلبة للقوة الإنجازية المستلزمة سياقيا وبدلالات مجازية، ولأجل فهمها بصورة تامة يتطلب ذلك إدراك المخاطَب للخلفية المعرفية المشتركة بينه وبين المتكلم والسياق المقامي للقول.
4. وتؤكد هذه النتائج قاطبة على مبدأ لساني عام وهو أن القوة الإنجازية هي نتاج "التفاعل النحوي-التداولي-البلاغي" في البنية الفعلية أو الاسمية على حد سواء، مما يفتح آفاقاً رحبة للدراسات اللسانية المقارنة ولفهم أعمق لفلسفة التواصل البشري.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- الاسترابادي، الرضي (1392ه). شرح الرضي على كافية ابن الحاجب (تحقيق يوسف حسن عمر). ط1. مؤسسة الصادق للطباعة والنشر.
- أوستن، جون (1991). نظرية أفعال الكلام العامة: كيف ننجز الأشياء بالكلام (ترجمة عبد القادر قينيني). أفريقيا الشرق.
- أوستن، جون (2019). الفعل بالكلمات (تحقيق ج. أورمسن وم. سبيسا؛ ترجمة طلال وهبه). ط1. هيئة البحرين للثقافة والآثار.
- بن أبي سلمى، زهير (2008). الديوان (اعتنى به وشرحه: حمدو طماس). ط1. دار المعرفة. بيروت.
- الحسيني، جعفر باقر (1427ه). أساليب المعاني في القرآن. ط4. مؤسسة بوستان كتاب.
- الخليفة، هشام إبراهيم عبد الله (2007). نظرية الفعل الكلامي بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي والإسلامي. ط1. مكتبة لبنان ناشرون.
- الخليفة، هشام إبراهيم عبد الله (2013). نظرية التلويح الحواري بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي والإسلامي. ط1. مكتبة لبنان ناشرون.

- السكاكي، يوسف بن أبي بكر (1987). مفتاح العلوم (ضبطه وعلق عليه نعيم زرزور). ط\2. دار الكتب العلمية.
- سيبويه، عمرو بن عثمان (1988). الكتاب (تحقيق عبد السلام محمد هارون). ط\3. مكتبة الخانجي.
- الشنقيطي، خديجة محفوظ (2012). تأصيل الفرضية الإنجازية في الفكر اللغوي العربي القديم من خلال أسلوبي الأمر والاستفهام [رسالة ماجستير غير منشورة]. جامعة طيبة.
- الشهري، عبد الهادي (2004). استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية. ط\1. دار الكتاب الجديد المتحدة.
- صحراوي، مسعود (2005). التداولية عند علماء العرب. دار الطليعة للطباعة والنشر.
- الصراف، علي (2010). في البراجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي. ط\1. مكتبة الآداب.
- العبد، محمد (2005أ). تعديل القوة الإنجازية: دراسة في التحليل التداولي للخطاب. مجلة فصول، (65)، 141.
- العبد، محمد (2005ب). النصّ والخطاب والاتصال. ط\1. الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد (د.ت.). العين (تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي). دار ومكتبة الهلال.
- المتوكل، أحمد (2010). اللسانيات الوظيفية مدخل نظري. ط\2. دار الكتاب الجديد المتحدة.
- مجدوب، عز الدين (2012). إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين. تونس.
- المخزومي، مهدي (1986). في النحو العربي نقد وتوجيه. ط\2. دار الرائد العربي.
- مليطان، محمد الحسين (2014). نظرية النحو الوظيفي، الأسس والنماذج والمفاهيم. ط\1. منشورات الاختلاف.
- ابن منظور، جمال الدين (1414ه). لسان العرب. ط\3. دار صادر.

- نحلة، محمود أحمد (2011). آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر. مكتبة الآداب.
- ابن هشام الأنصاري، عبد الله (2021). مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (تحقيق عبد اللطيف الخطيب). ط2. دار زين العابدين.

References

The Holy Qur'an

- Al-'Abd, M. (2005a). *Adjusting the illocutionary force: A study in the pragmatic analysis of discourse*. Fusul, (65), 141.
- Al-'Abd, M. (2005b). *Text, discourse, and communication* (1st ed.). Al-Akadimiya al-Haditha li-l-Kitab al-Jami'i.
- Al-Farahidi, K. (n.d.). *Kitab al-'ayn* (M. Al-Makhzoumi & I. Al-Samarra'i, Eds.). Dar wa Maktabat al-Hilal.
- Al-Husseini, J. (2006). *Asalib al-ma'ani fi al-qur'an* (4th ed.). Bostan Kitab Institute.
- Al-Istarabadhi, R. (1994). *Sharh al-radi 'ala kafiyyat ibn al-hajib* (Y. H. Umar, Ed.; 1st ed.). Al-Sadiq Printing and Publishing Institute.
- Al-Khalifah, H. (2007). *Speech act theory between modern linguistics and linguistic studies in Arab and Islamic heritage* (1st ed.). Librairie du Liban Publishers.
- Al-Khalifah, H. (2013). *Conversational implicature theory between modern linguistics and linguistic studies in Arab and Islamic heritage* (1st ed.). Librairie du Liban Publishers.
- Al-Makhzoumi, M. (1986). *In Arabic grammar: Critique and guidance* (2nd ed.). Dar al-Ra'id al-'Arabi.
- Al-Mutawakkil, A. (2010b). *Functional linguistics: A theoretical introduction* (2nd ed.). Dar al-Kitab al-Jadid al-Muttahida.
- Al-Sakkaki. (1987). *Miftah al-'ulum* (N. Zarzour, Ed.; 2nd ed.). Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.

- Al-Sarraaf, A. (2010). *On pragmatics: Illocutionary acts in contemporary Arabic – a semantic and contextual lexicon study* (1st ed.). Maktabat al-Adab.
- Al-Shahri, A. (2004). *Discourse strategies: A pragmatic linguistic approach* (1st ed.). Dar al-Kitab al-Jadid al-Muttahida.
- Al-Shanqeeti, K. (2012). *Establishing the illocutionary hypothesis in classical Arabic linguistic thought through the styles of command and interrogation* [Unpublished master's thesis]. Taibah University.
- Austin, J. L. (1991). *Nazariyat af'al al-kalam al-'amma: Kayfa nunjizu al-ashya' bi-l-kalam [How to do things with words]* (A. Qinini, Trans.). Afrique Orient.
- Austin, J. L. (2019). *Al-fi'l bi-l-kalimat [How to do things with words]* (T. Wahba, Trans.; 1st ed.). Bahrain Authority for Culture and Antiquities.
- Ibn Hisham. (2021). *Mughni al-labib 'an kutub al-a'arib* (A. Al-Khatib, Ed.; 2nd ed.). Dar Zain Al-Abidin.
- Ibn Manzur. (1993). Lisan al-'arab (3rd ed.). Dar Sader.
- Majdoub, A. (2012). *Insights into linguistic and semantic theories in the second half of the twentieth century*. Tunisian Academy.
- Militan, M. (2014). *Theory of functional grammar: Foundations, models, and concepts* (1st ed.). Manshurat al-Ikhtilaf.
- Nahla, M. (2011). *New horizons in contemporary linguistic research*. Maktabat al-Adab.
- Sahraoui, M. (2005). *Pragmatics in the work of Arab scholars*. Dar Al-Tali'a. Sibawayh. (1988). *Al-kitab* (A. Harun, Ed.; 3rd ed.). Al-Khanji Library.
- Shabo, M., & Shabo, M. (2025b, November 19). *What is a noun clause? | Definition & Examples*. Quillbot Blog. https://quillbot.com/blog/nouns/noun-clause.

الأساليب البلاغية الداعمة لطاقات الكلام الحجاجية في الشعر الجاهلي في الحرب (كتاب أيام العرب لأبي عبيدة أنموذجا)

عباس العميري

ماجستير ، قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة أصفهان إيران

د . سمية حسنعليان (الكاتبة المسؤولة)

أستاذ مشارك ، قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة أصفهان إيران

Rhetorical methods supporting the argumentative energies of speech in pre-Islamic poetry in war (Abu Ubaidah's book "Days of the Arabs" as a model)

Abbas Al-Amiri

MA , Department of Arabic Language and Literature , University of Isfahan , Iran
alhba7135@gmail.com

Dr. Somaya Hassanalyan (Responsible writer)

Associate Professor , Department of Arabic Language and Literature , University of Isfahan , Iran
alhba7135@gmail.com

ملخص:

يقع هذا البحث في دائرة البحوث التي تُقارب نصّاً أدبيّاً حجاجيّاً ، وبسبب المفارقة بين الأدب والحجاج، كان البحث هذا ليضع الخطاب الشعري الذي طُبع على التخييل في موضع موازٍ للخطاب العادي؛ وذلك بالبحث في مُوجهات الإقناع في الخطاب الشعري بما فيه من خصوصية. وكان النظر في هذا البحث بمنهج وصفي تحليلي في شعر الحرب في كتاب أبي عبيدة الموسوم ب"أيام الحرب" من منظور حجاجي؛ حيث وقف عبيدة محاجًّا أمام معارض كبير هو مجتمعه، وسخر لأجل تلك المواجهة كل ما استطاعه من سبل، بما فيها: إمكانات اللغة الحِجَاجية وبناء على ذلك: يهدف هذا البحث إلى الكشف عن الموجهات الحِجَاجية في شعر الحرب، ومدى مساهمتها في تحديد شكل الحِجَاج، ومدى تأثرها بالسمات الشخصية للصعلوك. ومن أهم نتائج البحث أن الوظيفة الإقناعية من أهم وظائف البلاغة، بالإضافة إلى الوظيفة التأويلية بهدف الإقناع ضمناً. تنقسم آليات الإقناع في أشعار الحرب إلى قسمين: أحدهما العلامات غير اللغوية، سواء أكانت مصاحبة للتلفظ أم لا، والقسم الآخر ممارسة الخطاب بما يناسب العمل الذهني، وذلك يتجسد باستعمال اللغة الطبيعية بوصفها العلامة الرئيسية.

الكلمات المفتاحية : الشعر الجاهلي ، الأساليب البلاغية ، الحجاج ، كتاب «أيام العرب» ، أبو عبيدة .

Abstract:

This research falls within the scope of research that approaches argumentative literary texts. Due to the paradox between literature and argumentation, this research sought to place poetic discourse, which is imaginative, in a position parallel to ordinary discourse. This research explores the persuasive drivers of poetic discourse, including its specificities. This research, using a descriptive-analytical approach, examines war poetry in Abu Ubaidah's book "Days of War" from an argumentative perspective. Ubaidah argued against a major opponent, his own society, and utilized every means at his disposal to confront this challenge, including the potential of argumentative language. Accordingly, this research aims to uncover the argumentative drivers in war poetry, the extent to which they contribute to determining the form of argumentation, and the extent to which they are influenced by the personal characteristics of the vagabond. One of the most important findings of the research is that the persuasive function is one of the most important functions of rhetoric, in addition to the interpretive function, which aims to implicitly persuade. The mechanisms of persuasion in war poetry are divided into two categories: one is non-linguistic signs, whether they accompany verbalization or not, and the other is the practice of discourse in a manner appropriate to mental activity, embodied by the use of natural language as the primary sign.

Key words : Pre-Islamic poetry , rhetorical methods , argumentation , "The Days of the Arabs ," Abu Ubaidah .

1. المقدمة :

مع أنّه يقول الكثير من الباحثين إلى التعارض الذاتي بين الحجاج واللغة الشعرية، لقوام الحجاج على المعرفة المبتذلة الشائعة وبالمقابل، قوام الشعر على أساس التجربة النفسية ونقاشات أخرى أجراها القدامى حول المفاصلات المفهومية القائمة بين النثر والشعر وخاصة هو الحاجز المدعو «العقل والوجدان» - فيرتبط الأول غالباً ما بالخطابة والجدل الصارم والمناظرات العلمية والآخر بالشعر وصور الخيال ولغة التعبير عن الخلجات النفسية - غير أنّه هناك من يؤمن بوجود شعر حجاجي على أن النص الأدبي لها وظيفة إقناعية أيضاً، إلى جانب نقل التجربة الفردية. فاللغة الشعرية عندهم، قد تكون في هيئة خطابة حجاجية كظاهرة لغوية غيرها، فهي منتمية إلى هيكلة اللغة مثلها. فيحمل الشعر طابعاً حجاجياً عند الجرجاني (1985: 133) مثلاً وفي أدنى مستوياته «لأنه كلام مقفى موزون على سبيل القصد والقيد؛ فالمراد بالقصد هو الغرض الشعري أي: الناحية الجدلية، ومن الموسيقى الذاتي هو انبعاث النفوس والتزايد من قدراته الإقناعية.

ومن هذا المنطلق سلط هذا البحث الضوء على الأشعار الجاهلية في الحرب واختار كتاب أيام العرب لأبي عبيدة عينة للبحث ودراسة الأساليب البلاغية الداعمة لطاقات الكلام الحجاجية .

- **أسئلة البحث :**

حاول البحث الإجابة عن السؤال الرئيس التالي :

كيف يمكن للأساليب البلاغية أن تدعم طاقة القول الحِجَاجيّة، وتثبت قدرته الإقناعية؟

- **منهج البحث :**

اقتضت طبيعة البحث وخطته اختيار المنهج الوصفي التحليلي للدراسة وتحليل الأشعار ؛ كما تم الاعتماد على المنهج التَّداوليّ؛ لأن الإقناع والحجاج ضمن الدراسات التَّداوليّة .

وتجدر الإشارة ههنا إلى أن عملنا هذا ليس تحليلاً نقْديًا للشعر؛ بل هو محاولة للفهم الأوضح والجلي للحجاج التَّداوليّ، وتطبيقه على الخطاب الشّعريّ في شعر الحرب في كتاب أبي عبيدة.

- **خلفية البحث :**

بالنسبة للدراسات السابقة فلابد من الذكر أنه هناك كثير من الدراسات التي تتمحور على موضوع الحجاج والمنهج التداولي والتداولية ، تكاد لا تعد ولا تحصى ولا يسع هذا المختصر ذكر جميعها . نشير إلى بعضها على سبيل المثال ولا الحصر :

- إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، لعبد الهادي بن ظافر الشهري ، بيروت : دار الكتاب الجديد ، 2004م .
- التداولية والحجاج مداخل ونصوص ، لصابر حباشة ، دمشق : صفحات للدراسات والنشر ، 2008م.
- أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، لحمادي صمود ، تونس : جامعة الآداب والفنون ، د . ت.

وأما بالنسبة لكتاب أبي عبيدة فلم نعثر على دراسة شاملة تركز على هذا الجانب من الكتاب وهذا المهم ما تكفلته هذه الدراسة المتواضعة .

2 . 5-2- مستويات الحجاج اللغوي والبلاغي :

جدير بالذكر أن بسبب الصلة الوثيقة القائمة بين الحجاج والبلاغة فقد يمثل الحجاج البلاغة الجديدة التي تعني بأي نوع من الخطابات الإنسانية ومنها المندمجة بالصور الخيالية والبيانية. وعليه فتنقسم البلاغة الجديدة إلى شقتين: الشعرية الخيالية والخطابة التداولية. وبالإضافة إلى أن الفعل الشعري المنتمية إلى تمثيل و محاكاة الأفعال الإنسانية أو إلى خلق الحبكات السرئية، فيبتغي أولاً إثارة المواسات لدى الجمهور كالخوف والشفقة مثلاً، فقد يتحصن الشاعر بموقف حجاجي حاد لخلق الوع المطلوب من قاعاته الشخصية، فلا يعني بمراعاة الأفكار المطلوبة من قِبَل المتلقي كما في النصوص النثرية (الفريح ،2020: 178).

فغني عن التوضيح أن الغاية الحقيقية التي تهدف إليها نظرية الحجاج هي الغاية الاقناعية التأثيرية التي تتفاعل مع الأركان الثلاثة الأصلية في الخطاب، وهي : المتكلم،

والمخاطب، والخطاب، آخذة بعين الاعتبار الأطر النفسية والاجتماعية للمتلقي من خلال أساليب إقناعية بلاغية تؤكد على عملية الإفهام واستمالة المتلقي إلى القضية المطروحة بطرق عدة من أجل الإقناع؛ ولهذا يقول ابن الأثير: «إنّ مدار البلاغة كلّها على استدراج الخصم إلى الإذعان والتسليم لأنّه انتفاع بإيراد الألفاظ المليحة الرائعة ولا المعاني اللطيفة الدقيقة دون أن تكون مستجلبه لبلوغ غرض المخاطب بها.» (1939: 2/68)

إذن فنجاح الخطاب يكمن في مدى مناسبته للسامع ومدى قدرة التقنيات الحجاجية المستخدمة على إقناعه، فضلاً على استثمار الناحية النفسية في المتقبل من أجل تحقيق التأثير المطلوب فيه؛ ولهذا يرى طه عبدالرحمن أنّ «الحجاج عملية حوارية إقناعية يطالب المحاور غيره بمشاركته اعتقاداته ومطالبته محاورة لا تكتسي صبغة الإكراه، ولا تدرج على منهج القمع، وإنما تتبع في تحصيل غرضها سبلاً استدلالية متنوّعة تجر الغير جرا إلى الاقتناع برأي المحاور، فإذا اقتنع الغير بهذا الرأي كان كالقائل به في الحكم، وإذا لم يقتنع به ردّه على قائله.» (2000م: 38)

وإذا كان الأدب في مجمله قائماً على البلاغة، فإن الحجاج البلاغي يظهر بشكل واضح لدى الشعراء والأدباء أصحاب المواقف الثابتة الذين تتعارض أفكارهم ومعتقداتهم مع جماعة أخرى لأنهم دائماً بحاجة للحجج والبراهين لتأييد مواقفهم. فينحدر الحجاج البلاغي من روافد كثيرة أهمها الخطابة عند أرسطو كون البلاغة أو الخطابة إنما هي قوة تتكلف الإقناع فيتوقف على ثلاثة أركان هي: كيفية المتكلم وسمته، وتهيئة السامع واستدراجه نحو الأمر، والكلام نفسه (أرسطو، 1979م: 9 – 10). فإنّ مدار البلاغة كلها على استدراج الخصم إلى الإذعان والتسليم، لأنه «لا انتفاع بإيراد الألفاظ المليحة الرائعة ولا المعاني اللطيفة الدقيقة دون أن تكون مستجلبة لبلوغ غرض المخاطب بها». (ابن الأثير، 1939م، ج 2: 68)

فيعد الحجاج نظرية حديثة برزت عند شايم بيرلمان، وميشال ماييير، وجان ميشال آدم، ورولان بارت، وديكرو من خلال مطالعتهم النصوص المختلفة، فيعرفه ماييير بأنه: «جهد إقناعي وبعدٌ جوهري في اللغة، لكون كل خطاب يسعى إلى إقناع من يتوجه إليه» (الطلبة ، ٢٠٠٨م: ١٠٣). أما بيرلمان فقد جاء بما يسمى «مدرسة البلاغة البرهانية» التي تعد بالمنظور البلاغي المستحدث، وكذلك استحدث مصطلح «البلاغة الجديدة». فنجده ومعاصريه يطورون النظرية في العصر الحديث بشكل جعلوها منسجمة أكثر مع روح العصر، ثم صنفوا الحجاج إلى أنواع (بلاغي، تداولي، فلسفي...)، وفرقوا بين المنطق والبلاغة.

فالحجاج في المنطق يعتمد مسلمات لا مجال للطعن بها، أما الحجاج البلاغي فيتبنى منهج الشك في كل شيء (بوزناشة، 2016م: 226). ووظيفة البلاغة إقناعية وليست جمالية إمتاعية فقط كما كان سائداً في البلاغة التقليدية. فالحجاج البلاغي هو «الحجاج الذي يتخذ من البلاغة مجالاً له، ويتخذها أداةً من الأدوات الحجاجيّة، وذلك لاعتمادها الاستمالة والتأثير عن طريق الحجاج بالصورة البيانية، والأساليب الجمالية. أي إقناع المتلقي عن طريق إشباع فكره ومشاعره معاً» (قهرماني، وتنها، 2020م: 6). وقد جعل بيرلمان الحجج في قسمين كبيرين أحدهما مبني على الوصل وهي حجج شبه منطقية وعلاقاتها تختلف (التناقض، المقارنة، التقسيم، التعدية...) ، وحجج قائمة على بنية الواقع الذي يقتنع به المتلقي ويدخل فيها الكناية والمجاز المرسل ، والحجج القائمة على إعادة بناء الواقع يدخل فيها الأمثال والشواهد والتمثيل الذي يهتم بتشابه العلاقات بين الأطراف المتباعدة، وكذلك الاستعارات، وقد جعل معها المحسنات. والقسم الثاني مبني على الفصل أي يعمد إلى الكل فيحدث فصلاً بين عناصر الموضوع ويجزئها لأهداف حجاجية (بوزناشة، 2016م: 227-234). فهناك علاقة وثيقة تربط الحجاج في البلاغة فإن البلاغة عتاد بنائي تبليغي يتوسل المبدع لعرض موضوعه، لذلك كانت الوجوه البلاغية وحدها لا تكفي للتدليل على صدق الخطاب وإيقاع التصديق، وهو ما يجعل المبدع يستشعر حاجته إلى الوسائل التي تنوع الرأي وترجحه، وفي هذا المستوى تلتقي البلاغة بالحجاج، لأن الإقناع والاستمالة يتطلبان عناصر حجاجية مثل الشاهد والحجة لتدعيم الرأي والتمثيل والترتيب والأسلوب:

فالإستعارة فذكرها أرسطو بأنها حجاجية، وتهدف إلى الإقناع، وتغير في الموقف العاطفي والفكري للمتلقي. وأما التمثيل: فهو من بين الحجج البلاغية المهمة في التأثير على عاطفة الإنسان، فيقول الجرجاني: «التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني، أو برزت هي باختصار في معرضه. ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته، كساها أُبَّه، وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها وشب من نارها وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، [...] واستشار من أقصى الأفئدة صبابة» (الجرجاني، د.ت: ١٠٥). والمراد بجمال الأسلوب: فهو اللفظ الحسن للكلام، يشارك فيه بدرجة أولى علم المعاني والبيان، فعملية إقناع المرسل إليه لا تتم على مستوى العمل والتفكير وحده بل تتم على مستوى الشعور و القلب أيضاً. فالشاهد: فهو لفظ أو عبارة لها قدسية تاريخية، ما يجعلها مقبولة ومقدسة لدى المرسل إليه، وقد تكون نصا من الوحي أو بيتا شعريا أو حكمة أو مثلا متداولا ومعروفا لدى العام والخاص، كما تكون له

مكانة خاصة لدى المجتمع، بشرط أن يكون المرسل والمرسل إليه لهما نفس الرابط القدسي لهذا الشاهد. فعلم المعاني يستهدف البحث عن كيفية تجنب الأخطاء والاستهجان في تأدية المعنى من خلال كلام معين. ويستهدف علم البيان البحث عن كيفية تجنب أوجه الغرابة والتعقيد في الكلام، بينما ينصب علم البديع على تحسين الكلام وإضائة جمالية التعبير عليه. فإنّ أقطاب البلاغة العربية متمثلة في هدفين هما: الوضوح أو الارتجال، والتأثير أو النفع. فتبغى الصور البلاغية، والحجج والحجاج بدورها التأثير والاستمالة والإبانة والوضوح (مدقّن، ٢٠١٣م: ٦٧ – 68).

3. **آليات الإقناع :**

فتعد الوظيفة الإقناعية من أهم وظائف البلاغة، بالإضافة إلى الوظيفة التأويلية فليست الوحيدة فقط. وإذا كانت البلاغة هي فن الإقناع بالخطاب، فالقاعدة الأساسية للبلاغة هي أن الخطيب الذي يخطب أو يكتب، بهدف الإقناع ضمناً. وإنه يعبر دائما عن ذاته مع أو ضد خطباء آخرين أي أن هناك دائما ارتباطا بخطابات أخرى ؛ وبهذا تستعمل إستراتيجية الإقناع من أجل تحقيق أهداف المرسل النفعية؛ بالرغم من تفاوتها تبعاً لتفاوت مجالات الخطاب أو حقوله. وتنقسم آليات الإقناع إلى قسمين:« يمثل أحدهما العلامات غير اللغوية، سواء أكانت مصاحبة للتلفظ أم لا، مثل الأدلة المادية على وقوع الجريمة، أو ما يصاحب التلفظ من تنغيم وإشارات جسدية وهيئة معينة. في حين يمثل القسم الآخر ممارسة الخطاب بما يناسب العمل الذهني، وذلك يتجسد باستعمال اللغة الطبيعية بوصفها العلامة الرئيسية» (ابن ظافر الشهري، ٢٠٠٤م: ٤٥٤). كما أن للعلامات السيميائية دوراً في الإقناع

ولـيـأتـيـنَّ عـلـيـك يـوم مـرة يبكي عليك مقنعاً لا تسمعُ

انطلاقا من كونها عناصر حجاجية، فيتواكب ما هو خطابي مع ما هو حجاجي. فإن حركات الخطيب ونبرته وتموجاته الصوتية هي عناصر محض خطابية. لكن ماذا عن الأوجه البيانية التي عادة ما تحصر البلاغة فيها وحدها؟ إن الاستعارة والمبالغة والطباق هي وسائل بلاغية من حيث إنها تساهم في الإمتاع والتأثير، ولكنها أيضا حجاجية من حيث إنها تعبر عن حجج بطريقة مركزة مع جعلها أكثر تأثيرا وإصابة ؛ وهناك مسوغات إستراتيجية تستعمل من أجل الإقناع:

1. أن تأثيرها التداولي في المرسل إليه أقوى، ونتاجها أثبت وديمومتها أبقى، لأنها تنبع من حصول الاقتناع عند المرسل إليه غالباً، لا يشوبها فرض أو قوة.

2. تمايزها من الإستراتيجيات المتاحة الأخرى، مثل الإستراتيجيات الإكراهية لفرض قبول القول أو ممارسة العمل على المرسل إليه دون حصول الإندفاع الداخلي أو الذاتي؛ فاقتناع المرسل إليه هدف خطابي يسعى المرسل إلى تحقيقه في خطابه».

3. الأخذ بتنامي الخطاب بين طرفيه عن طريق استعمال الحجاج، فالحجاج شرط في ذلك، لأن من شروط التداول اللغوي شرط الإقناعية فالمرسل «عندما يطالب غيره بمشاركته اعتقاداته، فإن مطالبته لا تكتسي صبغة الإكراه، ولا تدرج على منهج القمع، وإنما تتبع في تحصيل غرضها سبلاً استدلالية متنوعة تجر الغير جزأ إلى الاقتناع برأي المحاور.

4. الرغبة في تحصيل الإقناع، إذ يغدو هو الهدف الأعلى لكثير من أنواع الخطاب، خصوصاً في العصر الحاضر، عندما يفضل المرسل استعمال إستراتيجية الإقناع، حتى لو كان ذا سلطة تخوله استعمال بعض الإستراتيجيات الأخرى، ومرد ذلك أن المرسل إليه قد تغيرت ثقافته وإدراكه لكثير من الأمور، ولم يعد، بالتالي، يتقبل بعض الإستراتيجيات،كما أن إستراتيجيات دغدغة العواطف لم تعد تنطلي عليه. (ابن ظافر الشهري، ٢٠٠٤م: ٤٤٥- ٤٤٦)

4. التركيب الحجاجي في كتاب أيام العرب لأبي عبيدة :

وهو الجملة المفيدة المرادفة للكلام. فالجملة عند ابن جنّي هي الكلام «كل لفظ استقلّ بنفسه وجُنيت ثمرة معناه فهو كلام» (ابن جنّي، د.ت: 1/ 17). فإن استخدام الجمل والأساليب المختلفة أثناء الكلام – مثل التوكيد، والإلتفات، والتكرار، وغيرها – فليست الزيادة في اللفظ فقط، وإنما هي محاولة للتأثير في المقام وما ينتج عنه من طاقة حجاجية. فتأتي الأساليب الحجاجية وفق ما ذهبت به الباحثة الذارحي وزملائها (1391ش: 14 – 35) كما يلي: أسلوب التأكيد، فالشرط، فالتكرار، فالالتفات، فالتقديم والتأخير.

4. 1. الحجاج بالتأكيد :

يأتي أسلوب التأكيد لتقرير المؤكد في نفس المخاطب وإزالة الشك أو التوهم أو الغفلة عنها. ومنها التوكيد ب (إنّ واللام)، والتوكيد بالجملة الإسمية كونها تدل على الإستمرار والثبوت، والتوكيد بالقصر فيفيد تخصيص وتمكين الكلام وتقريره في الذهن دون إكراه المخاطب المنكر أحياناً على قبوله.

ويوجد التأكيد الحجاجي بالنون الثقيلة في شواهد أبي عبيدة حيث ينوه الشاعر ببسالته في ساحة الحرب ورغبته الغزيرة بأن تقتله الأيام مصرعاً حيث يبكي الحبيب على جثته وعلى وجهه البرقعة:

(أبو عبيدة، 2003م: 71)

ثم يصور مشهداً هائلاً قد رواه النابغة عن ملك سدير يحكم عليها الملك عمرو بن هند (صاحب الأخدود). فيحذر المعتدون عليها للنقمة أو النهب، مشيراً إلى مصير طرفة وكان يهوي شن الغارة عليها ويستخدم النابغة هنالك ، التأكيد المركب:

أبى القلبُ أن يهوى السدير وأهلَه ... وإن قيل عيشٌ بالسدير غريرُ

فما أنذروا الحيَّ الذي نزلوا به ... وإنّي لمن لم يأتهِ لنذيرُ

به البقُّ والحمّى وأسدٌ خفيةٌ ... وعمرو بن هندٍ يعتدي ويجورُ

(المصدر نفسه: 92)

فيذكر عن آخر يوم اللوى حيث يعد أسباب تقديس النار أو الرماد والملح عندهم مستخدماً أسلوب الحصر المؤكد ليميز ماذا اختصت بقوله:

و لا يبعد الله رب الرما ... د والملح ما ولدت خالدة

هم مطعمو الضيف شحم السنا ... ن والقاتلو الليلة الباردة

هم يكرّون صدور الرما ... ح في الخيل تطرد أو طاردة

(المصدر السابق: 263)

4. 2. الحجاج بالشرط :

يأتي أسلوب الشرط – كونه يطرح القضية وما يمكن أن ينتج عنها – ليوفر علاقة اقتضاء بين الشرط وجزائه ، ويمثل ضرباً من التلازم بين الحجة والنتيجة. فلا يسمح الخصم باستمرارية جدله أو إعادة بناء الدعاوي لافتراض وقوع الدعوى فعلاً فترتب النتيجة عليها وإثبات فساد مزاعمه.

وفي هذا المجال فيشير أبوعبيدة إلى مقاتل بشعة أجرت في بعض الحروب وهي جعل عضو منهم في غير موضعه الطبيعي رمزاً لتهجين الهجو أو نعتهم بالعقم وسوء الإنجاب. كما

فعل الشاعر الذي هجا «حذيفة» يوم جعفر الهباءة. لفعلته الشنيعة داخل القبيلة وهي قتل الأطفال فجعل نفسه في موضع العقيم. ثم وضعوا لسانه في مؤخرته أي لا حكمة له ولا عقل. فقال شاعرهم مستخدماً أسلوب الشرط مرتين في وصف ما أصابه تنكيباً عليه بعد قتله إثباتاً لفساد مزاعمه ومزاعم من ماثله:

وإنّ قتيلاً بالهباءة في استه صحيفتُه، إن عاد للظلم ظالمُ

متى تقرؤوها تهدِكم من ضلالكم وتعرِف إذا ما فضّ عنها الخواتمُ

(أبو عبيدة، 2003م: 149)

ومنه قول الشاعر يوم اللوى عن حتمية مصائر الموتى وإن كانوا صرعى الوغي:

وإن يكن القتل أفناهمُ فللموت ما تلد الوالدة

(المصدر نفسه: 263)

فيشير إلى أن يحث الشاعر قومه على القتال صوناً لأرضهم قبالة المعندين ولو بأدنى عدة ميسرة:

فإن تك في عليا هوازن شوكة تُخاف ، ففيكم حد نابٍ ومخلب

(المصدر السابق: 509)

4. 3. الحجاج بالتكرار :

أما التكرار فمن مأثور القول: إن الشيئ إذا تكرر، تقرر. فالتكرار هو الذي يدعم الطاقة الحجاجية في الدليل والبرهان بحيث يستبقي وقعه في القلوب .يشدد من أمره مقابل دحض الضد. فيحقق ثلاثة أغراض رئيسية وهي: التوكيد، وتماسك النص ووحدته الموضوعية ، والإيقاع المؤثر في النفس.

فيشير أبو عبيدة إلى وصف بالغ الروعة لجرير حيث يتحسر على فقدان قائد باسل يدعى «بسطام بن قيس» لأنه كان يسوق أعمدة من الجيوش المجاشعين في الأودية الوعرة والأبطحة الضيقة كما تنشب الحية بدون خوف لاحتمالية شن الغارة عليهم من فوق. فهو الذي كان يسوق كتائب جرارة كأجنحة العقبان في السهول والهضاب بدون تضجر لحر

الشمس ودهشة لكثرة العدى المقابلين. ثم قام بتكرار «ما شهدت» مرتين ليشير إلى عدم إمكانية استبداله بالغير في الظروف المشابهة للأبد:

فما شهدت يومُ النقا خيل هاجرٍ ولا السيدَ إذ يبطحن بالأُسل السُّمرِ

ولا شهدت يوم الغبط مجاشعَ ولا نقلان الحيّ من قُنّتَي نسرِ

(أبو عبيدة، 2003م: 24)

ونجد الاستشهاد بأروع صور التكرار الحجاجي أثناء شواهد أبي عبيدة حيث تكررت لفظة الغضا وهي ضرب من شجر البراري فتعذر قبولها جميع الأعاريب كونها منقوصة فتثبت شكل اللفظة مجروراً ومرفوعاً مثل دوام الشجرة في الصحراء عل هيئة ملياً. ثم يتمنى الشاعر الراثي على نفسه خيالياً لو لايراه ركب الأحبة متوفياً. فيتمني كذا لو يمكن الشجرة – على الأقل – أن يماشيَ الركب القادم بديلاً من جثمانه المرتقد بين الرفاد ليدل على التضجر من وحشة القبر – أو ربما من فقد الأحبة – فهو أيضاً بمنزلة الموت المؤبد في رأيه – على أرقى الوجوه الميسرة:

ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلةً بجنب الغضا أزجي القلاص النواحيا

فليت الغضا لم يقطع الركبَ عرضَهُ وليت الغضا ماشى الركاب لياليا

(المصدر نفسه: 172–173)

وبعد فنجد في موقف آخر حكاية ما لقت امرأة تدعى الشموس التي خرجت إلى قومها دامية الجسم ممزقة الثياب في منظر منها بشع فتحث قومها على النقمة لسبب ما فعلوا بها عروساً فتكرر الأمر بالموت ثلاث مرات بدلاً من قولها : فثوروا كراماً أو قاتلوا عدوكم ... لتؤكد على فظاظة الجريمة فاستحقاق من يشاهد هذا العار أو يسببه بالموت سوياً لشدة الحزن أو الخزي أو الخوف فلايجدرها من رد سوى الموت :

فموتوا كراماً أو أميتوا عدوّكم ودبوا لنار الحرب بالحُطب الجزلِ

وإلاّ فخلّوا بطنها وتحمّلوا إلى بلدٍ قفرٍ وموتوا من الهزلِ!

(المصدر السابق: 228)

4. 4. الحجاج بالالتفات :

وهو عند القدامى انصراف المتكلم من المخاطبة إلى الإخبار وما يشبه ذلك. وقد تسع دائرة الإلتفات بأنه: العدول من أسلوب في الكلام من أسلوب إلى أسلوب أحسن تطرية لنشاط السامع وإيقاظاً للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد فقط ليجلب انتباه السامع وقد أنس على نظم الكلام الأول فيأتي بتعبير جديد لايتوفعه من قبل، فهو طريقة للضغط على المخاطب ولفت انتباهه إلى مواطن مخصوصة للرسالة. فللإلتفات وظائف حجاجية شتى منها :

- ✓ إثارة المتلقي ولفت انتباهه .
- ✓ تقوية الحضور بواسطة الضمير أو الزمن .
- ✓ إثارة التشنيع على الخصوم وإشهاد السامعين والقرّاء على فساد صنيعهم .

فيعتري الإلتفات صبغة المبالغة أيضاً، لإنه يذكر لغيرهم خصالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم الإنكار والتقبيح.

ومن مواطن الإلتفات في شواهد أبي عبيدة فيجدر الإشارة إلى التفات جميل من الغيبة إلى الخطاب ومن الإخبار إلى الشرط معاً عند نقله عن المتلمس ، إذ يضاهي بكرمه عند الملوك فيحاجّ خصمه حارثاً ألاّ يحاول إثارة غضبهم أثناء هزواته عن نسبه. فإنهم يستنزفون العدى بشكل لايبقى من دم في جسمهم وفيه مبالغة أيضاً:

ومن كان ذا عِرضٍ كريمٍ فلم يصُن ... لهُ حَسباً ، كان اللئيمَ المذمّما

أحارثُ إنا لو تُشاطُ دماؤنا ... تُزيلَن حتى لايمسُّ د مٌ دما

(أبو عبيدة، 2003م: 118)

5. الآليات البلاغية الحجاجية :

يُعد القرآن الكريم الكتاب الأول عند المسلمين ، ويمثلُ الاحتجاج به من أقوى الحُجج الدامغة بينهم؛ لذلك نرى الشعراء بعد الإسلام يكثرون من الاحتجاج بالقرآنِ الكريم ويستشهد به في كثير من الأحوال . فلا يفارقُون الألفاظ القرآنية حتى في موقف الهجو والتي استعملوها كحُججٍ تحط من شأن المهجو. فيتمثلُ الحِجَاج بالحديثِ النبوي الشريف عِند المسلمين عامة حجة قويّة كالقرآنِ ، وبما أنّ المسلمين مأمورون بالتّأسي والاقتداء بنبيهم

(صلى الله عليه وآله) فهو يشكّل لهم مرجعاً في ذلك؛ ويعودُ ذلك إلى قول الله عز وجل في رسولهِ محمد (صلى الله عليه وآله) : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾ (سورة النجم : ٣- ٤).

وبعد فتعمل كل آلية من الآليات البلاغية على زيادة إثراء المخاطب بقيم حجاجية فتكون بصورة دليل أو كشاهد يحتج به في العملية الإقناعية، وباعتبار أن البلاغة تنقسم إلى ثلاثة أقسام، منها علم البيان أي: العلم الذي يقدرنا على التعبير عن المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه، فيحتوي علم البيان على صور بيانية وفي مقدمتها الإستعارة، فهي من أكثر الآليات خدمة للحجاج لأنها ادعاء تحول جنس المستعار له في جنس المستعار منه، وفي ذلك اثبات وتقرير يجعلها صعبة الدحض، وبغموضها فهي أقوى من التصريح. والحجاج بتشبيه فهو إلحاق أمر لأمر آخر في صفة أو أكثر وإثبات حكم له ادعاءً بأداة من أدوات التشبيه ملفوظة أو ملحوظة. أما الكناية فقد قال عنها الجرجاني (د.ت: 54): «فأن إثبات دليلها بما هو شاهد في وجودها أكدً وأبلغ من الدعوة بأن يجيء إليها هكذا ساذجاً غافلا». فيرى الجرجاني أن للكناية دور في إثبات المعنى والإقناع حيث استعمل القولُ غير الصريح والمخفي، بدلالات غير واضحة، وهذا ما يدفع بالمرسل إليه البحث وراء المقصود من الكتابة. وأما علم المعاني فهو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليُحترز بالوقوف عليها من الخطأ في تطبيق على ما يقتضي الحال ذكره. فانقسم إلى ثمانية أبواب وأولها أحوال البناء الخبري، وثانيها أحوال المسند إليه، وثالثها أحوال المسند، ورابعها أحوال متعلقات الفعل، وخامسها القصر، وسادسها الإنشاء، وسابعها الفصل والوصل، وثامنها الإيجاز والإطناب. ومن الإنشاء هناك الطلبي، والذي يتضمن أساليب عدة كالاستفهام، والتمني، والأمر، والنهي.

5. 1. الحجاج البلاغي بعلم البيان :

البيان لغة هو الوضوح والكشف والظهور، كما ورد في قولهِ تعالى ﴿هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٨). وهذا ما يربطه بالحجاج، فكلما كان البيان أوضح في أبيات الشاعر، كلما كانت الحجة أبين على المتلقي وخاصة أذا تنوعت الحجج بمختلف الأشكال، وهذهِ هي الصلة الوثيقة بينهما. فشاعر يشبه ويُكني ويستعير حتى يصل إلى مبتغاه في أيصال الحجج إلى المتلقي متكئاً على علم البيان. وأما اصطلاحاً فيُعرف علم

البيان بانهُ « معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة، بالزيادة في وضوح الدلالة عليه، وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه» (السكاكي،1407هـ: ١٦٢). وعُرِّف في موضعٍ آخر: «هو علم يبحث في الطرق المختلفة للتعبير عن المعنى الواحد، وعلم المعاني يتألف من المباحث التالية: ١- التصريح والمداورة؛ ٢- التشبيه؛ ٣- المجاز والمجاز المرسل؛ ٤- الاستعارة؛ ٥- الكناية» (الخطيب القزويني، ٢٠١٠م: ٥). والسيد الهاشميّ عرف البيان: «هو الكشف والإيضاح، وفي اصطلاح البلغاء: أصولٌ وقواعدُ يُعرف بها إيراد المعنى الواحد بِطرُقٍ يختلِف بعضُها عن بعض في وضُوح الدّلالة على نفس ذلك المعنى، ولا بُدّ من اعتبار المطابقة لمقتضى الحال دائماً» (د.ت: ٢١٦). فنوه كثير من علماء البلاغة بمكانة علم البيان البارزة من أمثال عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١ه) حيث يقول في لزوم التعرف عليه لفهم المعنى المكتوم خلال مجموعة من الألفاظ: «الكلام على ضربين: ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده [..] وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض، ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل» (الجرجاني، د. ت: ٢٦٢).

5. 1. 1. الحجاج البلاغي بالتشبيه :

فالتشبيه لغة هو:«شبه يدلُّ على تشابُه الشّي وتشاكُله لوناً ووَصْفا. يقال شِبْه وشَبَه وشَبيه. والشّبَه من الجواهر: الذي يشبه الذّهَب. والمُشَبِّهات من الأمور: المشكلات. واشتبه الأمرانِ ، إذا أشْكَلا» (ابن فارس، ١٩٧٩م: مادة « ش ب ه »). فتكمن بلاغة التشبيه بقولِ الخطيب القزويني : «فاعْلَمْ أنه مما اتفق العقلاء على شرف قَدْرِه، وفخامة أمرِه في فنِّ البلاغة ، وأن تعقيب المعاني به – يُضاعِف قُواها في تحريك النفوس إلى المقصود بها مدحاً كانت أو ذمّاً، أو افتخاراً، أو غير ذلك » (٢٠١٠م: ١٦٤). ويتمثل ذلك في قولِ السيد الهاشمي : «إن للتشبيه موقعاً حسناً في البلاغة – وذلك لإخراجه الخفي إلى الجلي وإدنائه البعيد من القريب، يزيد المعاني رفعة ووضوحاً، ويسكبها توكيداً وفضلاً ويكسوها شرفاً ونبلاً» (د.ت: ٢١٩). وهذا مَا نحتاجه فِي الحِجَاجِ البيانيّ ؛ كي نخرجُ بشعرٍ بلاغيّ يبينُ الحقَ، ويجحدُ الباطلَ بالأدلةِ، والبراهينِ، والبيانِ والتوضيحِ ، وهناك صلة قوية تربط بين الحجاج والتشبيه تكمن في أنه كلما كان التشبيه أبين وأجمل وبسياق شعري محبب للنفسِ،

كلما كانت الحجة مؤثرة في إقناع الآخرين. وقد شبهت الحجة بالشمس من جهة ظهورها كما شبهت فيما مضى الشيء بالشيء من جهة ما أردت من لون أو صورة أو غيرهما. إلا أنك تعلم أن هذا التشبيه لا يتم لك إلا بتأول، وذلك أن تقول: حقيقة ظهور الشمس وغيرها من الأجسام أن لا يكون دونها حجاب ونحوه ، مما يحول بين العين وبين رؤيتها، ولذلك يظهر الشيء لك إذا لم يكن بينك وبينه حجاب ، ولا يظهر لك إذا كنت من وراء حجاب أو شبهة.

ومما نقله أبوعبيدة عمن يرثي مقاتلاً بأنه لم يمت في فراش الموت ويعد ذلك من مفاخره له وأسباب غرة جبينه بالنسبة لمن مات في الوسادة فيشبه لمعان جبينه وابيضاضه بتلألؤ السيف المصقل لملائمته:

فخرٌ على الألاءة لم يوسّد　　كأن جبينه سيف صيقل

(أبو عبيدة، 2003م: 23)

ثم يشير إلى حادثة سد مأرب .ما لها من آثار كبيرة في كيانات الأيام التي في حركة الهجرة الكبرى بشمال الجزيرة وكانت بداية لتاريخ المستعربة. ومن قدومهم نشأ يوم اليمامة وأيام الأوس والخزرج. ومن المجاجرين كانت الطيئ وتسكن وادياً يدعى طريباً. وقال شاعرهم يومئذ لوصف صروف الدهر:

اجعل طريباً كحبيبٍ يُنسي　　لكل قومٍ مصبحٌ ومسىً

(المصدر نفسه: 93)

فيشير إلى مراثي الخنساء لأخيه صخر فتشنده باسلاً كريماً بقولها:

وإنّ صخراً لتأتمّ الهدة به　　كأنه علمٌ في رأسه نارُ

ولاتراه وما في البيت يأكله　　لكنه بارز الصحن مهمارُ

مثل الردينى لم تنفذ شبيبتُه　　كأنه تحت طي البرد أسوارُ

(المصدر السابق: 291)

ومنه قول الشاعر لبعض الملوك مدحاً وتبجيلاً له:

بأنك شمس والملوك كواكبُ　　إذا ظهرت، لم يبد منهن كوكبُ

(أبو عبيدة، 2003م: 294)

5. 1. 2. الحجاج البلاغي بالكناية :

جَاء فِي لسانِ العرب: «كنيّ والكُنْيَةُ على ثلاثة أَوجه: أحدها أن يُكْنَى عن الشيء الذي يُستفحش ذكره، والثاني أَن يُكْنى الرجل باسم توقيراً وتعظيماً، والثالث أَن تقوم الكُنْيةُ مَقام فيعرف صاحبها بها. وقال الجوهري: والكُنْية والكِنْية أَيضاً واحدة الكُنى، واكتَنى فلان بكذا. والكناية: أن تتكلم بشي وتريد غيره» (ابن منظور، ١٩٩٩م: مادة« ك ن ي»). وتتمثل الكناية على أنها:« لفظٌ أُطْلِقَ وأُريدَ به لازمُ مَعْناهُ مَعَ جَوَاز إِرادةِ ذلك المعنَى» (الجارم، وأمين، ١٤٣٤ه : ١٤٣). وللكناية بلاغة لابد أن نعَرفُ بلاغتها وما تُلقي من أثرٍ في نفسِ السامعِ فلها:« مَظْهَرَ من مظاهر البلاغة، وغاية لا يَصل إِليها إِلا من لَطف طبعُه وصَفت قريحته، والسِّر في بلاغتها أنها في صور كثيرة تُعطِيكَ الحقيقة مصحوبة بدليلها، والقضية في طَيِّها وبُرْهَانُها ... ومن أسباب بلاغة الكناية أنها تَضَع لك المعاني في صور المُحَسّات، ولا شك أنّ هذه خاصة الفنون فإن المصوِّر إذا رسم لك صورة للأمل أو اليأس بَهرَك وجَعَلك ترى ما كنت تَعْجزُ عن التعبير عنه واضحاً ملموساً... ومن خواص الكناية أنها تمكِّنك من أن تَشْفِي غُلتك من خصمك من غير أن تجعل له سبيلاً؛ ودون أن تَخْدِشَ وجه الأدب» (المصدر نفسه: 150).

إنَّ الكنَايةَ بمُختلف أنوَاعها لهَا أساليب تحقق أهدَاف لغوية وَفكرية وفنية يُمكن تجسيدها بأنَّ هذَا الفن البلاغيّ يتميزُ بحسنِ التعبيرِ وعمق التَأثير، وهذَا مَا نُريدهُ مِن هذَا العِلم؛ للكشفِ عن الحِججِ بالأدلةِ والبرَاهينِ الْبلاغية المؤثرة في المتلقي، وهناك روابط قوية جداً تربط بين الكناية والحجاج، كما وضحه العلماء في أعلاه، فالكناية تعطيك الحقيقة مصحوبة بدليل. والدليل هو نفسه الحجة المقامة على الأعداء والمعاندين.

فيشير أبو عبيدة إلى سوء حال أهل الحديث وأهل الشعر في عهد الرسول (ص) لتحرجهم وخوفهم من الوضع والكذب حتى في زمن حياته (ص) بمدة قصيرة فكيف بعد موته. وكان منهم من يكثر في إنشاد الشعر ويمتنع عن الحديث ابتغاء المندوحة عن الكذب في الأعاريض. فتركوا أهل الحديث ضجراً منهم فتحولوا إلى الشعر القديم. فيشتم واحداً منهم أحد المحدثين بقوله مشيراً إلى تداول محادثة ديار الأحبة في القديم وتركهم محادثة الرسول (ص) حالياً على سبيل التهكم والتوبيخ بقوله:

واستعجمت دراميٌّ، ما تكلِّمُنا والدار لو كلّمتنا ذات أخبار!

(أبو عبيدة، 2003م: 47)

وبعد فيشير أبوعبيدة إلى وصف شاعر لابن الملك عمرو بن هند الأخير قتيلاً عارياً مسلوباً يوم أوارة فيشير إلى عرى جسمه غير مباشر مواسياً له ومراعياً للشئون الملوكية وقد يكون غرضه إثارة الملك على الخصم التميمي - ويدعى زرارة - أيضاً فوصفه بالوفاء ورد االجميل تهكماً:

هـا إنّ عـجـزة أمّـه ... بـالـسـفـح أسـفـلَ مـن أوارة
تسفي الرياح خلال كش ... حـيـه وقـد سـلـبـوا إزارهِ
فـاقـتُـل زرارة لا أرى ... فـى الـقـوم أوفـى مـن زرارة

(المصدر نفسه: 116)

فيشير إلى اندراس ثوب العبيد رمزاً لاسترقاقه عندما يرثي الحطيئة بطلاً كريماً يدعى قيس بن زهير يلبس جثمانه بالياً بعض أيام داحس والغبراء، فيدعى أنّ ذلك لا عيب عليه لأنّه كان مشتهراً:

إنّ قـيـسـاً كـان مـيـتـتُـه ... أنـفـاً، والـحـرّ مـنـطـلـقُ
شام ناراً باللوى اقتدحت ... وشجاع البطن يختفقُ
فـي دريـس لايـعـيـبـه ... ربّ حـرّ ثـوبُـه خـلَـقُ

(المصدر السابق: 241)

5. 2. الحجاج البلاغي بعلم المعاني :

وهو: «تتبع خواص تراكيب الكلام في الافادة، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره» (السكاكي،١٩٨٣م:١٦١). وعُرِف علمُ المعانيّ أيضاً بانهُ «أصول وقَوَاعِدُ يُعرف بها كيفيةُ مُطابقة الكلام لِمقتضى الحال بحيث يكون وِفق الغرضِ الذي سِيق له [..] وقال بعض العلماء: المعاني المتصورة في عقول الناس المتصلة بخواطرهم، خفية بعيدة لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه، إلا بالتعابير التي تقُربها من الفهم، وتجعل الخفي منها ظاهراً والبعيد قريباً فهي تخلص المتلبس، وتحلّ المنعقد، وتجعل المهمل مقيداً، والمقيد مطلقاً، والمجهول معروفاً والوحشي مألوفاً (الهاشمي، د.ت: ٤٦).

5. 2. 1. الحجاج بالأمر :

من أروع مستشهدات الحجاج الأمري في كتاب أبي عبيده هي نقله عمن يذهب إلى ضرورة مغادرة الدنيا وغروها لأنها تزين السوء وتستقبح الجميل حقاً بديلاً من التحسر على الأخرين وتنكيل الحقد بهم وما أتاهم الدهر أحياناً في أسلوب الإلتفات من الغيبة إلى حديث نفسه بعد مشاهدة صروف الدهر والوصول إلى مبدأ عام في سلوكه الذي تبين في إطار جملة شرطية. فيجب خداع الدهر كما ينخدع هو ويتظاهر بالخلود والفرح الدائم بلا مصاب للآخرين فقط، فلا يحق المرء خذلان الحق والكشح عن الكفاح لأداءه مخافة الضرار أبداً حسبما ينشد بقوله:

ولا خير فيما يكذب المرء نفسه وتقواله للشيء: يا ليت ذا ليا

وإن أعجبتك الدهرَ حالٌ من امرئٍ فدعهُ وواكل حالَه والليالي

(أبو عبيدة، 2003م: 174)

فنجد أن الشاعر يرثي نفسه قتيل الوغى وعند ابنته الباكية خيالياً فيكفها أمراً ويدل ذلك على استعلاء مكانته فيقارنه التواسي والأسى لوشيك فقدها الصارم وعجزه عن مواصلة الحياة معها طبعاً ويصف دواخل هذه النفس الإنسانية في أشد حالات عذابها:

اسكتي قد حززتِ بالدمع قلبي طالما حزّ دمعكنّ القلوبا

(المصدر نفسه: 217)

فيشير إلى قول الشاعر حيث ينفذ الأسود بن غفار خطته بالملك وأعوانه ويبيّدهم، فيقول الأسود في ذلك مستخدماً أسلوب الأمر تهكماً منه حيث أن الملك بعلو مكانته المزعوم عند نفسه كان يحسب أنهم لن يعتدوا عليه. فها هو الشاعر يصدر الأمر ضدّه بعد القضاء عليه نافذ الصبر فاتكاً مغاضباً:

ذوقي ببغيك يا طسمٌ مجلّلةً فقد أتيتِ لعمري أعجبَ العجب

إنّا أبينا فلم تفتك، نقتّلُهم والبغيُ هيج منا سورة الغضب

(المصدر السابق: 230)

5. 2. 2. **الحجاج بالنهي :**

النهي هو طلب الكف عن عمل ما وهو على وجه الاستعلاء ؛ وقد يخرج من معناه الحقيق ليدل على الدعاء والتمني والتوبيخ والتهديد والمعاني الأخرى التي وردت في المصادر البلاغية .

فيروي أبوعبيدة فضيحة اعترت بعض الفرسان وقد حلّ حاناً تخدمها غانية فوصل البطل إليها عند رجوعه من بعض الأيام لينتعش قواه نزراً. فاندست الغانية ضده لتنشغل به فصكت الباب وراءه وأشربته نهلاً فافتقد تماسكه مغفولاً عندها بحيث لم يتمكن من ركوب الفرس سوياً إذا غادرها بعده. فذاعت الفضيحة أرجاء الأرض. فقرر أن يبرر نفسه على أنّه لايتلك على أمره آنذاك لسبب انشغاله عن نفسه. فيبدأ محجته معتذراً فموعداً المستهزئين إذا لم يكفوا عن عبث المقال بأسلوب النهي فينشد قائلاً:

ألا لاتلوماني، كفى اللؤم ما بيا فما لكما في اللؤم نفعٌ ولا ليا

(أبو عبيدة، 2003م: 156)

فيأتي أبوعبيدة بالإعتذار نافياً في موقف آخر كذا وحيث يحتج رجل نفرت ناقته بعض الأيام عند قبر ربيعة بن مكدم وكان الأخير فارساً مكرماً ويدأب على بيع الخمور أيضاً. فقال يرثي الراقد الكريم ويعتذر ألا يكون عقر ناقته عند هذا القبر هفواً فيستحق هذه الناقة العصية أن يقتل وتحدقت جثته إلى كوكب العرقوب بنفس المكان ولكنه يحتاج إليها للسفر ومشاركة الحروب، فيذكر كله بقوله:

نفرت قلوصي من حجارة بنيت على طلق اليدين وهوبِ
لاتنفري يا ناقِ منه فإنه سبّاء خمرٍ مسعر لحروب
لو لا السفارُ وبعد خرق لتركتها تحبو على العرقوبِ

(المصدر نفسه: 157)

5. 2. 3. **الحجاج بالنداء :**

النداء للتصويت بالمنادي ليقبل، أو هو طلب اقبال المدعو على الداعي. فقد يخرج النداء إلى اغراض مختلفة منها: الاغراء، والتحذير، والاستغاثة، والندبة، والتعجب، والاختصاص، والتنبيه، والتحسر.

فيشير أبوعبيدة إلى النداء لغرض التحذير والإنذار عمن قال في يوم البسوس حيث يحذر الملك عن مواصلة الإعتداء على عقارهم ويدعوه أن يكف عن قتل أهلها ونهبها، فيصف غيضهم المأمول عليه مما لم يلقه الملك أبداً ولا يقاس بما يحسبه قساوة منه لأنهم لايحرمون قتل الملوك قدسية. فينشد بقوله:

أبا منذرٍ! أفنيت، فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر أهونُ من بعض

(المصدر السابق: 96)

فيوجه الشاعر كليباً شتيمته المباشرة في موقف آخر من الكتاب داعياً إياه أن يكف عن الشر والبغي يوم البسوس ويعتبر بمصيرة الماضين فينشد قائلاً:

أكليب ما لك كلَّ يوم ظالما والظلمُ أنكدُ وجهه ملعونُ

إفعل بقومك ما أراد بوائلٍ يوم الغدير سميّك المطعونُ

وإخال أنك سوف تلقى مثلها في صفحتيك سنانها المسنونُ

(أبو عبيدة، 2003م: 254)

فيشير إلى رثاء نايحة لأحد الفرسان قائلة عن سجاياه:

أشاب قذال الرأس مصرعُ سيدٍ وفارس هبود أشاب النواصيا

(المصدر نفسه: 282)

الخاتمة والنتائج :

من أهم النتائج التي تم الحصول عليها عبر دراسة الأساليب البلاغية الداعمة لطاقات الكلام الحجاجية فش شعر الحرب في العصر الجاهلي من خلال كتاب أيام العرب لأبي عبيدة ، هي :

1. إن الحجاج البلاغي يظهر بشكل واضح لدى الشعراء والأدباء أصحاب المواقف الثابتة لأنهم دائماً بحاجة للحجج والبراهين لتأييد مواقفهم عند الآخرين. فتعد الوظيفة الإقناعية من أهم وظائف البلاغة، بالإضافة إلى الوظيفة التأويلية بهدف الإقناع ضمناً.

2. تنقسم آليات الإقناع إلى قسمين: أحدهما العلامات غير اللغوية، سواء أكانت مصاحبة للتلفظ أم لا، والقسم الآخر ممارسة الخطاب بما يناسب العمل الذهني، وذلك يتجسد باستعمال اللغة الطبيعية بوصفها العلامة الرئيسية.
3. إن استخدام الجمل والأساليب المختلفة أثناء الكلام – مثل التوكيد، والإلتفات، والتكرار، وغيرها – فليست الزيادة في اللفظ فقط، وإنما هي محاولة للتأثير في المقام وما ينتج عنه من طاقة حجاجية فتأتي الأساليب الحجاجية.
4. يوجد التأكيد الحجاجي في شواهد أبي عبيدة حيث ينوه الشاعر بباسلة الفرسان في ساحة الحرب ورغبتهم الغزيرة بأن يرثي على نفسه خيالياً حين تقتله الأيام مصرعاً حيث يبكي الحبيب على جثته؛ فحيث يحذر الشاعر المعتدين على أرضهم للنقمة أو النهب – فيحذر الملوك خاصة وهم يخالون عدم فتكهم قدسية – مشيراً إلى مصيرة من ماثلهم اعتباراً.
5. يأتي أسلوب الشرط ليمثل ضرباً من التلازم بين الحجة والنتيجة. فلا يسمح الخصم باستمرارية جدله أو إعادة بناء الدعاوي لافتراض وقوع الدعوى فعلاً فترتب النتيجة عليها وإثبات فساد مزاعمه. فيشير أبوعبيدة إلى مقاتل بشعة أجريت في بعض الحروب لتهجين الهجو. حتمية فيؤكد بالشرط على مصائر الموتى وإن كانوا صرعى الوغى تهويناً لمخاوفهم.
6. إنّ الشاعر يشبه ويُكني ويستعير حتى يصل إلى مبتغاه في إيصال الحجج إلى المتلقي متكئاً على علم البيان. فنقل أبوعبيدة عمن يرثي مقاتلاً بأنه لم يمت في فراش الموت ويعد ذلك من مفاخره له وأسباب غرة جبينه بالنسبة لمن مات في الوسادة. فيشبه لمعان جبينه وابيضاضه بتلألؤ السيف المصقل لملائمته. فيشير إلى مراثي الخنساء لأخيه صخر فتشنده باسلاً كريماً ومواقف أخرى لتكريم الممدوح.
7. يشير أبو عبيدة إلى استخدام الكناية لبيان سوء حال أهل الحديث وأهل الشعر في عهد الرسول (ص) لتحرجهم وخوفهم من الوضع والكذب فتركوا أهل الحديث ضجراً منهم فتحولوا إلى الشعر القديم. فيشتم واحداً منهم أحد المحدثين بقوله مشيراً إلى تداول محادثة ديار الأحبة في القديم وتركهم محادثة الرسول (ص) حالياً على سبيل التهكم والتوبيخ. وبعد فيشير إلى وصف شاعر لابن الملك عمرو بن هند الأخير قتيلاً عارياً

مسلوباً يوم أوارة فيشير إلى عرى جسمه غير مباشر مواسياً له ومراعياً للشئون الملوكية فوصف ضاربه بالوفاء ورد الجميل تهكماً له وللإثارة عليه.

8. يروي أبوعبيدة مستخدماً أسلوب النهي بين شواهده فضيحة اعترت بعض الفرسان بحيث لم يتمكن من ركوب الفرس سوياً إذا غادر الحان بعده. فقرر أن يبرر نفسه على أنّه لايمتلك على أمره آنذاك لسبب انشغاله عن نفسه. فيبدأ محجته معتذراً فموعداً المستهزئين إذا لم يكفوا عن عبث المقال بأسلوب النهي.
9. يشير أبوعبيدة إلى النداء لغرض التحذير والإنذار حيث يحذر الملك شخصياً عن مواصلة الإعتداء على عقارهم ويدعوه أن يكف عن قتل أهلها ونهبها لأنهم لايحرمون قتل الملوك قدسية. فيشير إلى موقف آخر يوجه الشاعر كليباً شتيمته المباشرة داعياً إياه أن يكف عن الشر والبغي يوم البسوس ويعتبر بمصيرة الماضين.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير ما نبتدئ به القرآن الكريم .

1. ابن الأثير، ضياء الدين (1939م). المثل السائر. تحقيق: محمد محيي عبدالحميد، القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي.
2. _____، (1982م)، الكامل في التاريخ، بيروت: دار صادر.
3. بوزناشة ، نور الدين ، (2016م) . الحجاج بين الدرس البلاغي العربي والدرس اللساني الغربي : دراسة تقابلية مقارنة ، د . م: منشورات جامعة محمد لمين دباغين.
4. الجرجاني، عبدالقاهر (د.ت). أسرار البلاغة. ط2. تعليق: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت.
5. الجرجانيّ، عليّ بن محمد الشريف (1985م). كتاب التعريفات. بيروت : مكتبة بيروت.
6. ابن جني ، أبو الفتح عثمان [ت ٣٩٢ ه]، (د.ت) . الخصائص ، المحقق: محمد علي النجار، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب .
7. الخطيب القزويني، محمد بن عبد الرحمن بن عمر (ت ٧٣٩ه) ، (2010م) . الإيضاح في علوم البلاغة ، المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي، ط3، بيروت: دار الجيل .

8. الذارحي، أمة الكريم والآخرون (1391ش). «بلاغة الحجاج في شعر الحسن بن علي الهبل أمير شعراء اليمن». الأدب العربي، العدد الثاني، السنة الرابعة. ص 275 – 306.
9. السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (ت ٦٢٦ه) ، (1407ه) . مفتاح العلوم ، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور ، ط2 ، بيروت: دار الكتب العلمية.
10. الطلبة، محمد سالم الأمين، (2008م)، الحجاج في البلاغة المعاصرة، بيروت: دار الكتاب.
11. ابن ظافر الشهري ، عبد الهادي ، (2004م). استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، بنغازي: دار الكتب الوطنية .
12. عبد الرحمان، طه، (1998م). اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المغرب: الدار البيضاء.
13. أبو عبيدة ، معمر بن المثنى التميمي ، (2003م). أيام العرب قبل الإسلام ، جمع وتحقيق ودراسة : عادل جاسم البياتي، بيروت : عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع .
14. الفريح ، انتصار ، (2020م) . الحجاج في شعر عروة بن الورد: دراسة وصفية ، مجلة كلية الآداب . جامعة بني سويف. العدد 54 ، ص 171 220.
15. مدقن، هاجر، (د.ت)، الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه دراسة تطبيقية في كتاب المساكين للرافعي، بيروت: دار الجيل.
16. الهاشمي، أحمد (ت ١٣٦٢ه)، (د.ت) . جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، بيروت : المكتبة العصرية.

List of Sources and References

The best place to begin is with the Holy Qur'an .

1. Ibn al-Athir, Diya' al-Din (1939). The Common Proverb. Edited by Muhammad Muhyi Abd al-Hamid, Cairo: Mustafa al-Babi al-Halabi Press.
2. _____, (1982). Al-Kamil fi al-Tarikh (The Complete History), Beirut: Dar Sadir.
3. Bouznasha, Nour al-Din, (2016). Argumentation between Arabic Rhetorical Studies and Western Linguistic Studies: A Comparative Study. ed.: Muhammad Lamine Debaghine University Publications.

4. Al-Jurjani, Abd al-Qahir (n.d.). Secrets of Rhetoric. 2nd ed. Commentary by Muhammad Rashid Rida, Dar al-Ma'rifa, Beirut.

5. Al-Jurjani, Ali ibn Muhammad al-Sharif (1985). The Book of Definitions. Beirut: Beirut Library.

6. Ibn Jinni, Abu al-Fath Uthman [d. 392 AH], (n.d.). Al-Khasais, edited by Muhammad Ali al-Najjar, Cairo: Egyptian General Book Authority.

7. Al-Khatib al-Qazwini, Muhammad ibn Abd al-Rahman ibn Umar (d. 739 AH), (2010 AD). Al-Idah fi Ulum al-Balagha, edited by Muhammad Abd al-Mun'im Khafagi, 3rd ed., Beirut: Dar al-Jeel.

8. Al-Dharhi, Ummat al-Karim wa al-Akhirun (1391 AH). "The Eloquence of Argumentation in the Poetry of al-Hasan ibn Ali al-Habal, Prince of Yemeni Poets." Arabic Literature, Issue Two, Year Four, pp. 275-306.

9. Al-Sakaki, Yusuf ibn Abi Bakr ibn Muhammad ibn Ali al-Khwarizmi al-Hanafi Abu Ya'qub (d. 626 AH), (1407 AH). Miftah al-Ulum, edited, annotated, and commented on by Na'im Zarzur, 2nd ed., Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah. 10. Al-Talaba, Muhammad Salim Al-Amin (2008). Argumentation in Contemporary Rhetoric, Beirut: Dar Al-Kutub.

11. Ibn Dhafer Al-Shihri, Abdul Hadi (2004). Discourse Strategies: A Pragmatic Linguistic Approach, Benghazi: National Library.

12. Abdul Rahman, Taha (1998). The Tongue and the Balance, or Mental Multiplication, Morocco: Casablanca.

13. Abu Ubaidah, Muammar ibn Al-Muthanna Al-Tamimi (2003). The Days of the Arabs Before Islam, compiled, edited, and studied by Adel Jassim Al-Bayati, Beirut: Alam Al-Kutub for Printing, Publishing, and Distribution.

14. Al-Furaih, Intisar (2020). Argumentation in the Poetry of Urwah ibn Al-Ward: A Descriptive Study, Faculty of Arts Journal, Beni Suef University. Issue No. 54, pp. 171-220.

15. Madqan, Hajar (n.d.), Argumentative Discourse: Its Types and Characteristics: An Applied Study in Al-Rafi'i's Kitab Al-Masakin (The Poor), Beirut: Dar Al-Jeel.

16. Al-Hashemi, Ahmad (d. 1362 AH), (n.d.), Jewels of Eloquence in Meaning, Rhetoric, and Poetics, Edited, Proofread, and Documented by Dr. Youssef Al-Sumaili, Beirut: Al-Maktaba Al-Asriya.